

مدخل تاريخي لدراسة واقع الإنسان في المجتمعات الإسلامية المعاصرة

أ.د/ عبد الشافي محمد
عبد اللطيف - أستاذ التاريخ والحضارة
الإسلامية في كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر - القاهرة

فإن هذا الملتقى "الإسلام والدراسات المستقبلية" الذي ينظمه المعهد العالي الوطني للدراسات الحضارية بوهران يأتي في موعده تماماً، فالعالم الإسلامي في جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... إلخ وإلى من يصف له العلاج الناجع، والمحور الأول من محاور هذا الملتقى "واقع الإنسان في المجتمعات الإسلامية المعاصرة" يعد محور التشخيص والتوصيف للعلل والأوجاع التي يعاني منها العالم الإسلامي؛ وبقية المحاور بمثابة وصفات العلاة وتحديد الدواء، كل في مجاله وتخصصه. وهذا المحور الأول موضوعه كبير وواسع، وكان وحده يحتاج إلى ملتقى خاص به، لأن واقع العالم الإسلامي مريع، ومليء بالمشكلات الصعبة والمعقدة والمتداخلة، وتكتنفه أخطار جمة، بعضها خارجي وهو الأخطر والأشد شراسة، لأن وراءه قوي عالمية تملك إمكانات هائلة، وهي تكره الإسلام والمسلمين وتكيد لهم كيلاً عظيماً، وبعض تلك الأخطار داخلي، والأيدي الخارجية فيها ليست خافية، ولا يستطيع باحث بمفرده ولا بحث بذاته أن يغطي جوانب هذا الموضوع الكبير المعقد، والذي يحتاج إلى تخصصات كثيرة حتى يكون الكلام علمياً وموضوعياً ودقيقاً ومفيداً. وأنا لا أستطيع الإدعاء بأنني قادر على تغطية موضوع كهذا، وكل ما في وسعي أن أحاول إلقاء الضوء على بعض أوضاع وأحوال واقع العالم الإسلامي في وقتنا الحاضر، ذلك الواقع الذي وصفته في مطلع حديثي وصفاً بديهيّاً بالمريع، وهو فعلاً كذلك، فلا أظن أن العالم الإسلامي مرت به فترة من

فترات تاريخه أحس فيها بالمهانة والذلة وضياع الحقوق وفقدان الهيبة، كما يحس الآن، ومن يقول غير ذلك أظنه مغالطاً ومجافياً للواقع، وإذا أراد الإنسان أن يضرب أمثلة على ذلك ويقدم نماذج فسيجد مئات الأمثلة والنماذج التي تؤكد ما أقول، هل أضرب أمثلة مما يجري للمسلمين في فلسطين المحتلة، أم ما يجري لهم في البوسنة والهرسك والشيشان، أم ما يجري لهم في إقليم كوسوفا، أم... إلخ.

أم نتحدث عما يجري من حصار قاتل لبلاد عربية إسلامية، مثل العراق وليبيا بحجة أنهما لا ينفذان قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن، في الوقت الذي صدرت فيه ضد إسرائيل قرارات من هاتين الهيئتين - تقارب المائتين - لم تنفذ منها قراراً واحداً، ولم يستطيع أحد حتى أن ينقدها أو يوجه لها لوماً. لهذا نقول إن واقع العالم الإسلامي واقع مريع - حتى وإن بدا أن كل دولة مستقلة، وأن معظم رؤسائها يقولون أنهم أحرار في اتخاذ قراراتهم، فلهم أن يقولوا ما يشاءون ولعلمهم صادقون من وجهة نظرهم، ومن حق غيرهم أن يختلف معهم فيما يقولون، والخلاف كما يقولون لا يفسد للود قضية. فالعالم الإسلامي من وجهة نظرنا يمر اليوم - ونحن نعيش في نهاية الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري ونهاية القرن العشرين بمرحلة لعلها الأسوأ في كل تاريخه منذ ظهر علي وجه الأرض. ونحن لا ننكر أن العالم الإسلامي قد مر قبل ذلك بأزمات، بل بنكبات كثيرة في مسيرته التاريخية، ولكنه كان في كل مرة يخرج منها سليماً مغافاً، ويستأنف سيره المعتاد. ولعل تعرض العالم الإسلامي للغزو الصليبي من الغرب، والغزو المغولي من الشرق، فيما بين نهاية القرنين الخامس والسابع الهجريين، الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين، لعل ذلك كان أشد وأقسى النكبات التي حاقت به حتى بدا وكأن العالم الإسلامي صائر إلى زوال (1). غير أن النتيجة كانت خلاف ذلك.

فقد انتصر الإسلام في النهاية على هذين العدوين الخطيرين، ورد الصليبيين إلى بلادهم مهزومين مدحورين، يجرون أذيال الخيبة والخسران.

أما المغول فبعد هزيمتهم عسكرياً لأول مرة منذ خروجهم من بلادهم غازيين مدمرين، على أيدي المسلمين في موقعة عين جالوت الخالدة على أرض فلسطين العربية الإسلامية سنة 658 هـ - 1260م. بعد هزيمتهم تلك أتبع الإسلام نصره العسكري عليهم نصراً آخر أعظم فقد أدخلهم سلماً وطواعية في عقيدته وأذابهم في بوتقته وحضرتهم، بل حولهم هم أنفسهم - وهم الذين بلغوا درجة من الوحشية والهجمية لم يبلغها أحد قبلهم - إلى بناء حضارة، فقد شاد المغول باسم الإسلام حضارة راقية ارتبطت باسمهم وبصفة خاصة في الهند - وظلت قائمة حتى دهمها الاستعمار الأوربي منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي، ولا تزال أثارها شاهدة على ازدهارها ورقيتها وتلك هي عظمة الإسلام، التي حولت المتوحشين إلى متحضرين.

كانت هزيمة المسلمين في البداية أمام الصليبيين والمغول وانتصارهم في النهاية سنة من سنن الله الكونية التي لا تتبدل ولا تتغير. ولا تجامل أجداً من خلقه «فقد كان واقع المسلمين - عندما داهمهم الصليبيون والمغول - سيئاً مليئاً بالمعاصي والبدع والانحرافات والشتات والفرقة، والانشغال بذلك كله عن نصره دين الله، والتمكين له في الأرض، ولذلك اجتاحت جيوش الأعداء أراضي الإسلام، وأزالت سلطانهم إلى حين، ولكن جذوة العقيدة كانت ما تزال حية في النفوس وإن غشيتها غاشية من التواكل والسلبية، أو الانشغال بشهوات الأرض.

فما أن جاء القادة الذين يردون الناس إلى الجادة، بدعوتهم للرجوع إلى حقيقة الإسلام، حتى صحت الجذوة واشتعلت، فجاء على أثرها النصر؛ فحين قام صلاح الدين الأيوبي - يقول للناس «لقد هزمتم لبعدكم عن طريق الله، ولن تنتصروا حتى تعودوا إلى الطريق...» - وحين صاح السلطان قطر، صيحت الشهيرة - وإسلاماه، وتبعته جماهير الأمة المسلمة فصدقت الله في عقيدتها وسلوكها، جاء نصر الله، وتغلب المسلمون على أضعافهم من المشركين والكفار»⁽²⁾.

فهل هناك أمل أن يجتاز العالم الإسلامي محنته الحالية، وأن يخرج من هذا الحصار العالمي القاسي وأن يملك زمام نفسه، وأن يستمتع بثرواته ويسخرها لمصلحة ابنائه؟ علم ذلك عند ربى لأن أعداء الإسلام اليوم أقوى بكثير من أعداء الأمس، ووحشيتهم وقوتهم في عداوتهم ربما لا تقل عن وحشية المغول والصليبيين. وأدواتهم في الكيد والقهر والإذلال بغير حدود، ولكن على الرغم من كل ذلك فلا ينبغي للمسلمين أن يفقدوا الأمل في نصر الله الذي وعد به عباده المؤمنين حيث قال تعالى: **(وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)** ⁽³⁾ بشرط أن يكونوا مؤمنين حقاً، وأن يحضروا انفسهم للخلاص من السيطرة والهيمنة الغربية الجهنمية.

جر العالم الإسلامي إلى أحلاف تخدم الأهداف الاستعمارية:

معظم بلاد العالم الإسلامي وقعت فريسة للاستعمار الغربي، وبصفة خاصة قطبي هذا الاستعمار - أو الاستعمار - كما سماه مالك بن نبي - إنجلترا وفرنسا، ولا نريد أن نتحدث هنا عن الحقبة الاستعمارية ومآسيها وفظائعها، فهذا الحديث ليس هذا مكانه، وإنما نريد الحديث عن فترة ما بعد الاستعمار، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية سنة 1945 وحتى استقلال آخر الدول العربية والإسلامية في مطلع السبعينيات من هذا القرن العشرين، لقد خرج الحلفاء الغربيون ومعهم الاتحاد السوفيتي منتصرين في هذه الحرب على دول المحور. ولكنهم خرجوا أعداء، فإذا كان التصدي لخطر النازية قد وحّدهم، فقد كان ذلك ضرورة زالت بزوال الخطر، وأصبح حلفاء الأمس أعداء اليوم، وبدأ بينهم ما عرف بسنوات الحرب الباردة، وانقسموا إلى كتلتين متعاديتين عقائدياً وسياسياً واقتصادياً، كتلة غربية رأسمالية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وكتلة شرقية شيوعية بقيادة الاتحاد السوفيتي. وقد حاولت كل من القوتين استخدام العالم الإسلامي ورقة رابحة في صراعها مع الأخرى. ولما كان معظم بلدان العالم الإسلامي لا يزال تحت سيطرة الاستعمار الغربي، وكان يعاني من ذلك الأهوال ويحاول جاهدة التخلص من تلك السيطرة البغيضة،

فقد انتهز الاتحاد السوفيتي الفرصة ورفع شعار مناصرة البلاد المستعمرة المتطلعة إلى الحرية والاستقلال، ووقف بالفعل مع بعض البلاد العربية والإسلامية، وقدم لها مساعدات لا تنكر حتى نالت استقلالها (4). ومن ثم فقد استطاع استقطاب عدد لا بأس به من تلك الدول وجعلها تتعاطف معه في كل موقف دولي يواجه به الولايات المتحدة الأمريكية. وأبرز مثال على قدرة الاتحاد السوفيتي في استقطاب بعض الدول العربية والإسلامية وجعلها تدور في فلكه ما حدث وسط حركة عدم الانحياز التي أسسها ثلاثة من كبار الشخصيات العالمية في تلك الفترة سنة 1961م وهم رئيس وزراء الهند الراحل جواهر لال نهرو، والزعيم المصري الراحل جمال عبد الناصر، والزعيم اليوغسلافي الراحل جوزيف تيتو. وهذا الأخير مع انتمائه عقائدياً إلى الكتلة الشرقية الشيوعية إلا أنه لم يطق الهيمنة السوفيتية على هذه الكتلة وتمرد عليها وتخلص منها مبكراً، وأصبح واحداً من أقطاب حركة عدم الانحياز، غير أن تلك الحركة لم تستطع المحافظة على شعارها - وهو عدم الانحياز إلى أي من الكتلتين المتصارعتين - قط، فالمصالح والأيدولوجيات، كانت تجذب هذه الدولة أو تلك إلى الكتلة التي تحقق لها مصالحها، ومن أبرز الأمثلة على ذلك كوبا، التي تعد من أبرز دول كتلة عدم الانحياز، إلا أنها لم تخف أبداً انحيازها إلى الاتحاد السوفيتي في تلك الفترة، الأمر الذي جعلها في عداً دائماً مع جارتها القريبة، الولايات المتحدة الأمريكية، بل إن جمال عبد الناصر، أحد المؤسسين للحركة، لم يستطع أبداً أن يكون غير منحاز بالمعنى الذي تفرضه الحركة، وكان الامتحان العسير له في ذلك عندما اجتاحت القوات السوفيتية تشيكوسلوفاكيا سنة 1978م فيمما يسمى بربيع براغ، وطلب منه صديقه وزميله في قيادة الحركة تيتو أن يندد بهذا الاجتياح أو حتى ينتقده، لكن عبد الناصر لم يستطع أن يفعل ذلك لضرورات سياسية قدرها. وقتها، فقد كان خارجاً لتوه من هزيمة سنة 1967 القاسية، وكان في حاجة إلى الدعم العسكري والسياسي من الاتحاد السوفيتي، فلم يستطع أن يندد ولا أن ينتقد، وهذا

الموقف تسبب في جفوة بينه وبين صديقه الحميم تيتو، ولكنه كان من المواقف أو الأمثلة التي برهنت على أن المصالح أقوى من المبادئ ولها الأولوية عليها.

هذه بعض الأمثلة على اختراق الاتحاد السوفيتي لحركة عدم الانحياز ونفوذه داخلها. فماذا عن الولايات المتحدة وكتلتها الغربية؟ لاشك أن هذه الكتلة كان تأثيرها أكبر وأخطر على دول عدم الانحياز وبصفة خاصة على الدول العربية والإسلامية داخل تلك الحركة. وذلك بحكم القوة الهائلة والثروة الكبيرة التي تتمتع بها هذه الكتلة الغربية والنفوذ الطاغى في الميادين الدولية على المؤسسات السياسية والمالية، مثل مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي... إلخ وكل الدول تحتاج إلى هذه المؤسسات، ومن يخرج على إرادة أمريكا وحلفائها، فالويل له ثم الويل، بل وحتى قبل قيام حركة عدم الانحياز سنة 1961م استطاعت الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون أن تجند كثيرا من الدول الإسلامية لخدمة مصالحها وتحقيق أهدافها في صراعها مع الكتلة السوفيتية الشيوعية، وقد استثمرت العداء العقائدي بين الإسلام والشيوعية، كمذهب الحادي ينكر وجود الله عز وجل، ونجحت في تخويف الدول الإسلامية، وبصفة خاصة المتاخمة لحدود الاتحاد السوفيتي من المد الشيوعي الملحد، ومن العجيب أن النفاق السياسي والجري وراء تحقيق الأهداف والمصالح السياسية والاقتصادية جعل الغرب الاستعماري المسيحي يعمل على إحياء مبدأ الجهاد الإسلامي واستنفاره لمقاومة الشيوعية، من منطلق وحدة الأديان السماوية ضد الإلحادية اللادينية، وأن على العالم الإسلامي أن يجمع قواه في جبهه واحدة مع العالم المسيحي ضد الشيوعية، «وفي هذا السبيل شهدت تلك الفترة حركات فكرية، ومؤتمرات دعائية، ولقاءات لاهوتية عديدة، بدرجة لافته للنظر، وتضرب كلها على نغمة التقارب بين الإسلام والمسيحية، وعلى وحدة الرسالات السماوية» (5) وقبل أن نمضي في بيان الاجراءات التي اتخذتها الكتلة الغربية بقيادة الولايات المتحدة لجر العالم الإسلامي وراءها في أحلاف عسكرية الموقوف في وجه العالم

الشيوعي، يجب أن نسجل حقيقة يعلمها الجميع، وهي أن الكتلة الغربية الاستعمارية المسيحية طالما حملت على الإسلام وشهرت به، وسخرت منه، وألصقت به كل الجرائم والكرائه، وبصفة خاصة مبدأ الجهاد، والذي كان دائماً يفسر عند الغرب على أنه دعوة عدوانية دموية متعصبة، ويهاجم بحسبانة دعوة إلى حروب دينية. أما الآن فعندما احتاج الغرب إلى سيوف المسلمين لمقاومة الشيوعية فقد رضى فجأة عن مبدأ الجهاد، وعرف قيمته وأخذ يسخره لحسابه الخاص في صراعه مع العالم الشيوعي، بل راح الغرب على لسان أكبر ساسته يكيل المديح للجهاد الإسلامي، ويعترف بأن مقاومة المسلمين للشيوعية كانت أنجح وأقوى وأكثر تأثيراً من مقاومة الغرب، والسبب في ذلك يعود - حسب كلامهم - إلى أن مقاومة المسلمين للشيوعية كانت تنبع من دافع عقائدي، بينما الدافع الغربي للمقاومة كان من موقع المصلحة النفعية الرأسمالية. ومن يطالع كتاب الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون - انتهزوا الفرصة - يجد كلاماً كثيراً في هذا المجال. بل أكثر من ذلك فإن الغرب الاستعماري المسيحي كان إذا خيّر بين السيطرة الإسلامية على منطقة من المناطق وبين السيطرة الشيوعية، فإنه كان يختار السيطرة الإسلامية، وإليك هذا المثل: يذكر الدكتور محمود حب الله، وهو أزهري مصري كان مديراً للمركز الإسلامي في واشنطن في مطلع الستينيات: أنه دعى إلى المركز أحد العلماء الأمريكيين، الذين كانوا عائدين من زيارة إلى إفريقيا، لكي يحاضر في المركز عن مستقبل تلك القارة السمراء بعد خروج الاستعمار منها، فذكر ذلك العالم الأمريكي في محاضرتة: أنه وجد أن إفريقيا بعد خروج الاستعمار منها بين أمرين لا ثالث لهما؛ إما أن يجتاحها الإسلام أو الشيوعية، لأن إفريقيا كرهت الدول الاستعمارية، ولا تريد أن ترى لها ظلاً في إفريقيا. وأن إفريقيا لم تعد بعد زوال الاستعمار مكاناً خصباً للمسيحية، ثم تساءل - العالم الأمريكي - ما موقفنا نحن في أمريكا: هل نناصر الشيوعية أما نناصر الإسلام؟ فإذا لم يسيطر الإسلام - ووسائل سيطرته سهلة ميسورة - فستسيطر الشيوعية، وبناء على هذا أعلن الرجل في محاضرتة أنه ينبغي على أمريكا ألا تقف في سبيل

ما يقوم به المسلمون لنشر الإسلام في إفريقيا لأنهم ينشرون مع الدين الخلق والفضيلة، ويباعدون بيننا وبين الشيوعية (6).

الأحلاف الغربية الإسلامية:

في خضم صراعه مع الشيوعية، في فترة الحرب الباردة، أقدم الغرب على إنشاء عدد من الأحلاف العسكرية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة 1945 حتى أن أحد الباحثين سمى هذه الفترة بفترة صناعة الأحلاف. ففي غضون عشرين عاما قدّمت ونفّذت ستة مشاريع أحلاف متعاقبة؛ إما كأحلاف عسكرية دفاعية، أو كأحلاف دينية سياسية وكان مهندس هذه الأحلاف الولايات المتحدة وبريطانيا (7). وتم جر كثير من الدول الإسلامية إليها وإجبارها على الانضمام إليها. وقد امتدت هذه الأحلاف من باكستان شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا وقد كان من أول وأبرز هذه المشروعات مشروع ظهر على مسرح السياسة العالمية في الأربعينيات المتأخرة والخمسينيات الباكرة، لإنشاء تجمع أو حلف أو جامعة إسلامية يتلخص هدفه، كما قدموه، في الوقوف كحلف مقدس في وجه الشيوعية ليدافع عن الإسلام، ويواجه خطر الإلحاد، ويبدأ المشروع كما رسموه من موقع العالم الإسلامي الجغرافي والأيديولوجي في عالم ما بعد الحرب، فبالواقع الجغرافي توضح الخريطة السياسية حقيقة هامة، وهي أن أطول حدود مشتركة مباشرة للاتحاد السوفيتي هي مع الدول الإسلامية، ابتداء من باكستان وأفغانستان، عبر إيران وتركيا، هذا فضلا عن أن جسم العالم الإسلامي الأساسي في مجموعه بعد هذا ظهير ضخم للكتلة الشيوعية، وإذا نحن حللنا جوهر الحلف على ضوء هذه الحقائق فسنجد أنه أساسا وفي الدرجة الأولى جزء لا يتجزأ من استراتيجية الغرب لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية؛ أعنى استراتيجية "الإحاطة والتطويق" المشهورة، التي تهدف إلى حصار الكتلة الشرقية عامة، والاتحاد السوفيتي خاصة، بسلسلة متصلة الحلقات من الأحلاف السياسية والعسكرية؛ تبدأ من النرويج حتى اليابان والحلف بهذا موجه إلى الخارج، أعنى أنه يجند العالم الإسلامي ككل لينظر إلى

خارج حدوده، وبالتحديد نحو تخومه الشمالية، وبعبارة أخرى - ورغم المخاطرة بالتكرار - ينبغي أن نصر على أن الحلف كان تعبيراً عن استراتيجية الكتلتين، وانعكاساً لمنطق الاستقطاب الثنائي، والحلف بهذا ليس حلفاً دينياً، رغم الاسم، ولكنه حلف سياسي عسكري⁽⁸⁾.

هذا الحلف لم يكتب له النجاح بل مات بالسكتة القلبية، ولكن الغرب لم يئأس، وإنما فكر على الفور في بدائل له، تخلص من القناع الديني، وتكون سياسية وعسكرية، وكان أولها هو ما يسمى بمنظمة الدفاع عن الشرق الأوسط⁽⁹⁾. أو الميدو MEDO التي تمتد من تركيا حتى الباكستان ومن إيران حتى مصر: «وقدّم الغرب بنفسه هذا المشروع... لكل من العرب وإسرائيل، فكانت تلك الخطوة القاتلة التي أودت بالمشروع في مهده. ومن هذه التجربة الحرجة بدأ الغرب يعدل تكتيكه - الغزو من الداخل - بدلاً من أن يفرض الحلف نفسه من الخارج، والتمويه - هذه المرة - بمواجهة إسرائيل، بدلاً من المشاركة معها، ومن هنا كان حلف بغداد؛ الذي دعت إليه شكلياً دول في منطقة الشرق الأوسط، للدفاع والأمن المشترك، وروجت له - تضليلاً - على أساس أنه دفاع وحماية ضد إسرائيل والصهيونية. وقد تألف الحلف من باكستان وإيران والعراق وتركيا، وانضمت إليه بريطانيا وأمريكا؛ وقد كانت الضغوط لحشد الدول العربية في حظيرة الحلف ملحمة تاريخية فاشلة⁽¹⁰⁾. غير أن الحلف في نطاقه الضيق الذي انتهى إليه، فقد فعاليته وبدأ البحث عن وريث له وهو على قيد الحياة»⁽¹¹⁾.

كان حلف بغداد قد أنشأ سنة 1955م، وبعد قيام ثورة العراق سنة 1958م انسحبت منه، وتحول اسمه إلى الحلف المركزي، ثم سقط وانتهى إلى الإهمال كما يقول الرئيس نيكسون⁽¹²⁾.

وكان البديل الذي قدمته أمريكا لهذه الأحلاف السابقة الفاشلة هو ما سمي بمشروع أيزنهاور، الذي قدم سنة 1957م لملأ الفراغ الذي قيل أنه نشأ في الشرق الأوسط بعد هزيمة بريطانيا وضياع هيبتها بعد حرب السويس سنة

1956م وخروجها من المنطقة، بيد أن مصير هذا المشروع لم يكن أحسن حظاً من سابقه، فلقى المصير نفسه، ودفن الوريث والموروث معا في وقت واحد، على حد تعبير الدكتور جمال حمدان (13).

خلاصة ما تقدم أن الكتلة الغربية بزعامة الولايات المتحدة قد حاولت باستماتة حشد العالم الإسلامي خلفها في صراعها مع الكتلة الشرقية الشيوعية، واستثمرت في ذلك مبدأ الجهاد الإسلامي - الذي طالما شوهته وأدانتة. وجاءتها فرصة أخرى من الفرص التاريخية النادرة، التي غيرت التاريخ، وذلك حين اجتاحت القوات السوفيتية - نحو مائة ألف جندي - أفغانستان في نهاية سنة 1979م، بهدف إيقاف المد الإسلامي، الذي بدأ ينطلق من أفغانستان، بتأثير الثورة الإسلامية التي تفجرت في إيران سنة 1979م ذلك أن الاتحاد السوفيتي خشى من ذلك المد الإسلامي على الجمهوريات السوفيتية الإسلامية في آسيا الوسطى (14).

والحقيقة أن الإتحاد السوفيتي كان أقام سلسلة من الانقلابات العسكرية في أفغانستان منذ بداية السبعينيات من هذا القرن ونصب عليها عددا من عملائه الشيوعيين، ولما تبين لهم عجزهم عن السيطرة على ذلك البلد المسلم، المتمسك بإسلامه، وبعد قيام الثورة الإيرانية أدرك انه لا بد له أن يتدخل تدخلا سافرا إذا أراد أن يحمي مستعمراته في آسيا الوسطى، ولكنه بدلا من أن يحمي تلك المستعمرات فقد لقي هو نفسه حتفه هناك، لأن الولايات المتحدة لم تترك تلك الفرصة النادرة تفلت من يديها، وقررت أن تجعل من أفغانستان مقبرة تدفن فيها الإتحاد السوفيتي، أو ما سماه الأمريكيان امبراطورية الشر (15). كانت تلك بالفعل فرصة نادرة لتثأر لنفسها من الإتحاد السوفيتي عما صنعه معها في حربها في فيتنام في حقبة الستينيات وبداية السبعينيات، فقد أخرجها وأزرى بهيبتها وجعلها تخرج من فيتنام ذليلة، وهو دولة عظمى، ولقد رأى الناس في كل مكان السفير الأمريكي وهو يخرج مذعورا من سايجون متخفيا - حقا كان موقفا مزريرا بزعيمة العالم الحر.

الآن جاءت الفرصة للولايات المتحدة على طبق من ذهب، فرصة لم تكن من تخطيطها ولا من تفكيرها، فلم تدع الولايات المتحدة أن غزو القوات السوفيتية لأفغانستان كان من تدبيرها ولا من تفكيرها ولا من تخطيطها، ولكنها إرادة الله التي عجّلت بزوال دولة الكفر والإلحاد، وكان غزو القوات السوفيتية لأفغانستان هو القشة التي قصمت ظهر البعير - كما يقول المثل العربي - صحيح أن زوال الاتحاد السوفيتي كان حتما مقضيا، وزوال الشيوعية كان آت لا محالة، لأنه نظام ضد الفطرة الإنسانية، وأي نظام أو فكر أو مذهب يضاد الفطرة الإنسانية لا بد من سقوطه في نهاية المطاف حتى لو بدا أنه ناجح في البداية، لأن الزبد لا بد أن يذهب جفاء ولا يبقى في الأرض إلا ما ينفع الناس، كما أخبر بذلك الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز.

ولقد توقع الكثير من المفكرين الغربيين، وفيهم روس، بزوال الشيوعية، وتفكك الاتحاد السوفيتي، قبل نهاية القرن العشرين بل كان أسبق من هؤلاء جميعا المفكر العربي العملاق عباس محمود العقاد فقد توقع في كتابه "لا استعمار ولا شيوعية" (16) سقوط الشيوعية وزوالها، وزوال الاتحاد السوفيتي قبل نهاية القرن العشرين، بل جاء السقوط وحل الانهيار أسرع مما توقع. لا أريد للحديث أن يجنح بنا بعيدا عما قصدنا إيضاحه في هذا البحث، وهو أن الولايات المتحدة جاءت فرصة نادرة لتوجيه الضربة القاضية لعدوها الخطير الاتحاد السوفيتي، دون أن تتدخل هي بشكل مباشر ودون أن تتكلف الكثير، فهاهم المسلمون جاهزون ليقوموا بالدور نيابة عنها وحماهم لدحر الشيوعية لا حدود له، ومبدأ الجهاد الإسلامي أنجح وسيلة لتحقيق كل هذا. وهكذا أخذت الولايات المتحدة تعرض الدول الإسلامية المتحالفة معها، سواء أكانت قريبة من أفغانستان أو بعيدة عنها، أخذت تعرض الدول الإسلامية لحشد المجاهدين وملا الساحة الأفغانية بالشباب المسلم، الذي أخذ يتدافع بقوة بحماسة لا نظير لها من أجل نصرة أشقائهم في العقيدة وذهب عشرات الآلاف من مصر والسعودية واليمن والأردن والسودان وفلسطين والعراق وسوريا ولبنان،

وبلاد المغرب العربي، ومن باكستان وإيران وغيرها من الدول الإسلامية، بل تطوع شباب مسلم للدفاع عن أفغانستان ضد الغزو السوفيتي من مسلمي أمريكا وأوروبا، وقد وصل عدد هؤلاء المجاهدين - من كل تلك البلاد - نحو ربع مليون مجاهد، وأطلق عليهم المجاهدون الأفغان.

«وجعلت لهم أمريكا مراكز يتجمعون فيها قريبا من الحدود الأفغانية الباكستانية في مدينة بشاور بغربي باكستان، وكانوا يتلقون في هذه المراكز تدريباً عسكرياً مكثفاً، على حرب العصابات، تشرف عليه الولايات المتحدة الأمريكية، وتدعمهم بالسلح (17). وكانت بعض الدول البترولية، وعلى رأسها السعودية تدعمهم بالمال، وقدمت دول عربية أخرى وعلى رأسها مصر، الدعم بالرجال، وكان عملية التطوع تتم تحت نظر السلطات، أو حتى بايعاز منها (18).

ونجحت هذه القوات المجاهدة في جعل مهمة الاتحاد السوفيتي في أفغانستان مستحيلة، وأجبرته على أن ينسحب في مشهد من أصعب مشاهد التاريخ، حقا لقد كان انسحاب السوفيت من أفغانستان مخزيا، وهل هناك اخزي من أن يفر جيش عملاق مدجج بالسلح المتطور من أمام المجاهدين، الذي كان معظم تسليحهم من مخلفات الحرب العالمية الثانية، ولقد رويت في ذلك أعاجيب تناقلتها وكالات الأنباء ووسائل الإعلام العالمية، ومنها أن المجاهدين الأفغان كانوا يسقطون الطائرات بالحجارة التي تقذفها المقاليع. المهم تحقق الهدف الاستراتيجي، الذي ظل الغرب كله يخطط له منذ نصف قرن (19) وهزم الاتحاد السوفيتي، ولم يخرج من أفغانستان فقط، وإنما خرج من الدنيا كلها وأصبح أحاديث تروي بعد أن كان أحد العملاقين العالميين، وسبحان مالك الملك ومغير الأحوال.

إن من يقرأ كتاب الرئيس نيكسون "نصر بلا حرب" الذي ظهر سنة 1989 يعرف كيف أخذ الغرب يخطط بقيادة الولايات المتحدة لهزيمة الاتحاد السوفيتي بدون حرب، وذلك عن طريق الإتفاق الهائل على التسليح المتطور للغاية وغزو الفضاء، وهو يعرف أن الاتحاد السوفيتي لن يقبل إلا بأن ينافس

في هذا الميدان وقد نافس بالفعل وأصبح القوة العظمى الثانية في العالم في مجال السلاح، ولكن بعد أن تكبد نفقات باهظة لم يقو اقتصاده على تحملها وكان ذلك على حساب رفاهية المواطن السوفيتي، ومستوى معيشتته، بحيث أنه في الوقت الذي كان رواد الفضاء الروسي يجوبون أجواء السماء ويدورون حول أقمارها، في ذلك الوقت كان المواطن السوفيتي على الأرض يئن من أعباء المعيشة ويجد مشقة بالغة في الحصول على الغذاء اليومي، وتعرف الدنيا كلها أن الاتحاد السوفيتي - تلك القوة العسكرية الرهيبة - هو مخترع الطوابير الطويلة من البشر التي تقف أمام المخازن للحصول على الخبز، وأمام محلات البقالة للحصول على بقية الطلبات الأخرى للحياة، وكلها كانت دون الكفاية ومن أردأ الأنواع، وليس هذا في ميدان الغذاء فقط، بل في ميدان الملابس وحاجيات الإنسان الأخرى، ناهيك عن صعوبة الحصول على مسكن ملائم... إلخ. يحدث ذلك في الاتحاد السوفيتي الذي كان يشغل مساحة 20٪ من اليابس على الكرة الأرضية، وموارده الطبيعية، ومحاصيله الزراعية بدون حدود. ولكن سوء الإدارة - إدارة الدولة - والفساد أدى إلى كل هذه الصعوبات، وفي النهاية إلى زوال إمبراطورية الشر على حد تعبير الرئيس الأمريكي ريجان. والذي كان يزيد من معاناة الشعوب السوفيتية التي وعدوها بجنة الشيوعية أنها كانت ترى وتسمع عن حياة المواطن العادي - وبصفة خاصة الطبقة العاملة - في الدول الرأسمالية الغربية، وأنه يعيش حياة حرة كريمة، بل مترفة ومما كان يزيد من معاناة تلك الشعوب السوفيتية أيضا ما كانت تراه وتسمعه عن حياة البذخ - الذي لا حدود له - التي كان يحياها أعضاء الحزب الشيوعي وعائلاتهم وأنصارهم، وإن كل متطلبات الحياة المترفة كانت في متناول أيديهم وبأيسر السبل، ومن منتجات الغرب الرأسمالي بدأ من العطور الفاخرة وانتهاء بالسيارات الفارهة، أو قل بدون انتهاء.

خلاصة القول أن الولايات المتحدة أخذت تخطط هي وحلفاؤها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لهزيمة الاتحاد السوفيتي بدون حرب، وقد نجحت في ذلك

نجاحا باهرا، كشف عنه نيكسون في كتابه - نصر بلا حرب - ثم جاءت الفرصة الذهبية، وهي غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان، الأمر الذي عجل بانهيار الإتحاد السوفيتي، بل زواله، وزوال الشيوعية بالتالي ولتنفرد الولايات المتحدة الأمريكية بزعامة العالم وفي ذلك مافيه ونردد قول ربنا عزوجل: **(وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌ أَمِيدُ بَيْنَ فِئَتَيْنِ أَمْ آخِرُ الْأَرْضِ أَمِ أَوَّلُهَا بِهِمْ بِهِمْ رِشْدًا)** (20).

حرب الخليج الأولي والثانية وتدمير العراق:

إن الهدف الاستراتيجي للسياسة الغربية التي تقودها الولايات المتحدة هو إضعاف الأمة العربية إلى أقصى حد لمصلحة إسرائيل، وبصفة خاصة دوله الفاعلة والتي يخشى منها على إسرائيل، وفي مقدمتها مصر وسوريا والعراق. وهذا الهدف الاستراتيجي الغربي لم يتغير حتى بعد بدء عملية السلام مع إسرائيل والتي قادتها أكبر دولة عربية، وهي مصر، منذ زيارة الرئيس الراحل محمد أنور السادات للقدس في 19 نوفمبر سنة 1977م.

ويكفي في هذا المجال أن تلقي نظرة على مقال نشر في صحيفة "كيفونيم" اليهودية بتاريخ 14 نوفمبر 1982م. واقتبس منه روجيه جارودي في كتابه "ملف إسرائيل": دراسة للصهيونية العالمية، هذا المقال يوضح السياسة المطلوب اتباعها في المنطقة المحيطة بإسرائيل. يقول المقال بالنص مايلي: «استعادة سيناء بثرواتها هدف ذو أولوية، ولكن اتفاقات كامب دافيد تحول الآن بيننا وبين ذلك... لقد حرمانا من البترول وعائداته، واضطررنا للتضحية بأموال كثيرة في هذا المجال. ويتحتم علينا الآن استرجاع الوضع الذي كان سائداً في سيناء قبل زيارة السادات المشؤومة، وقبل الاتفاقات التي وقعت معه سنة 1979م... والوضع الاقتصادي في مصر، وطبيعة النظام الموجود بها، وسياستها العربية كل هذا سيؤدي إلى مجموعة ظروف تدفع بإسرائيل إلى التدخل... فمصر بسبب نزاعاتها الداخلية لم تعد تشكل بالنسبة إلينا مشكلة إستراتيجية، ومن السهل أن نجعلها تعود خلال 24 ساعة إلى الوضع الذي كانت عليه بعد حرب يونيو 1967. لقد ماتت أسطورة مصر زعيمة العالم العربي،

وفقدت مصر 50٪ من قدرتها... وكبناءً موحد أصبحت مصر جثة هامدة، وبخاصة إذا أخذنا في الاعتبار المجابهة المتزايدة والمتصاعدة بين السلميين والمسيحيين بها، ويجب أن يكون هدفنا هو تقسيمها إلى أقاليم جغرافية متباينة في الثمانينات، فإذا ما تمت تجزئة مصر، وإذا فقدت مصر سلطتها المركزية، فلن تلبث بلدان مثل ليبيا والسودان وبلدان أخرى أبعد من ذلك أن يصيبها التحلل. وتشكيل حكومة قبطية في مصر العليا - الصعيد - وإقامة كيانات صغيرة إقليمية، هو مفتاح تطور تاريخي. يؤخره حالياً اتفاق السلام، ولكنه تطور أت لا محالة على الأجل الطويل... ومشكلات الجبهة الشرقية أكثر وأشد تعقيداً من مشكلات الجبهة الغربية. وهذا على عكس ما يبدو في الظاهر. وتقسيم لبنان إلى خمسة أقاليم يوضح ما يجب أن ينفذ في البلدان العربية، وتفتيت العراق وسوريا إلى مناطق تحدد على أساس عنصري أو ديني يجب أن يكون هدفاً ذا أولوية بالنسبة لنا على الأجل الطويل. وأول خطوة لتحقيق ذلك هو تدمير القوة العسكرية لتلك الدول. والتشكيل السكاني لسوريا يعرضها لتمزق، قد يؤدي إلى إنشاء دولة شيعية على الساحل، ودولة سنية في منطقة حلب، وأخرى في دمشق، وإنشاء كيان درزي قد يرغب في أن يتحول إلى دولة على أرض الجولان التابعة لنا تضم حوران وشمال المملكة الأردنية... ومثل هذه الدول ستكون على المدى الطويل ضماناً لأمن وسلام المنطقة. وهذا هدف في متناولنا فعلاً تحقيقه. أما العراق فهي غنية بالبترول، وفريسة لصراعات داخلية وسيكون تفككها أهم بالنسبة لنا من تحلل سوريا، لأن العراق يمثل على الأجل القصير أخطر تهديد لإسرائيل. وقيام حرب سورية عراقية سيساعد على تحطيم العراق داخلياً، قبل أن يصبح قادراً على الانطلاق في نزاع كبير ضدنا. وكل نزاع داخلي عربي سيكون في صالحنا، سيساعد على تفكك العرب... وربما ساعدت الحرب العراقية الإيرانية على ذلك الانحلال والضعف في صفوف العرب... والأردن. هدف استراتيجي في التو واللحظة. ولن يشكل أي خطر لنا على الأمد الطويل، بعد تفككه ونهاية حكم الملك حسين، وانتقال السلطة إلى

الأغلبية الفلسطينية. وذلك أمر يجب أن يسترعي انتباه السياسة الإسرائيلية. فمعنى هذا التغير هو حل مشكلة الضفة الغربية ذات الكثافة السكانية العربية الكبيرة، فهجرة هؤلاء العرب شرقاً - إما بالسلم أو بالحرب - وتجميد نموهم الاقتصادي والسكاني هو الضمانات الأكيدة للتحويلات المقبلة. وعلينا أن نبذل قصارى جهدنا للإسراع بتلك العملية. وينبغي رفض خطة الحكم الذاتي، وأية خطوة أخرى تتضمن حلاً وسطاً أو تعايشاً وتصبح بالتالي عقبة في سبيل فصل الأمتين ويجب أن يفهم العرب الإسرائيليون - أي الفلسطينيون - أنه لا يمكن أن يكون لهم وطن إلا في الأردن ولن يعرفوا الأمن إلا بالاعتراف بالسيادة اليهودية على كل ما يقع بين البحر ونهر الأردن» (21) هذه مقتطفات من ذلك المثال الخطير الذي يشرح ما تبنيه السياسة الإسرائيلية للأمة العربية، من أجل أن تبقى الدولة اليهودية وتتوسع وتزدهر وتهيمن وتسيطر على المنطقة العربية برمتها، وإذا حدث ذلك، تستطيع السيطرة على العالم الإسلامي كله، واليهود لا يخفون تطلعاتهم تلك بل يعلنونه في كل مناسبة، وهذا أمر لا نستبعد حدوثه لهشاشة النظم في العالم الإسلامي وقابليتها الكبيرة للاختراق - على غرار نظرية مالك بن نبي - قابلية الاستعمار - وإذا قلنا إن هذا هو فحوى السياسة الإسرائيلية ونواياها السيئة نحو الأمة العربية - حتى بعد بدء عملية السلام. ومن أكبر دولة عربية هي مصر - فإن هذه هي الترجمة الحقيقية للسياسة الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية نحو الأمة العربية، فكل ما تخطط له إسرائيل لمستقبل المنطقة يكون ليس فقط بموافقة أمريكا، بل بمباركتها ودعمها السياسي والعسكري والاقتصادي اللامحدود. وهناك تطابق كامل بين السياسة الإسرائيلية والسياسة الأمريكية نحو المنطقة، حتى أن بعض الباحثين العرب - إدوارد سعيد - لا يرى فرقاً بين إسرائيل وأمريكا، ولذلك اخترع اسماً جديداً لهما معا فقال بحق عنهما - إسرائيلكا - بل أن بعض الباحثين يرى أنه ليس هناك سياسة أمريكية فيما يتعلق بالأمة العربية، بل هي سياسة إسرائيلية تباركها

وتساعد على تنفيذها أمريكا.

حرب الخليج الأولي 1980 - 1988م :

كجزء من تنفيذ المخطط الغربي الرهيب لإضعاف الأمتين العربية والإسلامية واستنزاف مواردها وتعطيل خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية لتزداد الأحوال سوءاً. وتكثير البطالة والفقر والمرض، ويعم الإرهاب والقلق ربوع العالم الإسلامي أشعل الغرب بقيادة الولايات المتحدة الحرب بين العراق وإيران في سبتمبر سنة 1980م وهيأت لها كل الأجواء، فقد أوجت إلى الرئيس العراقي صدام حسين، أنه بعد مقاطعة مصر وإخراجها من جامعة الدول العربية عقاباً لها على توقيع معاهدة سلام مع إسرائيل - تلك المقاطعة التي لعب فيها صدام حسين نفسه الدور الأكبر - أوجت إليه السياسة الغربية أنه أصبح الآن مرشحاً لخلافة مصر في زعامة الأمة العربية، ولكن يحول دون ذلك عقبة كبيرة هي إيران - ذات المكانة والهيبة والأهمية في المنطقة وبصفة خاصة في الخليج ذي الأهمية البالغة لاقتصاديات الغرب، أي أن صدام حسين ليس بمقدوره أن ينفرد بالزعامة على الأمة العربية مع وجود إيران، إذن ما الحل؟ لا حل سوى إزاحة إيران من الطريق، هكذا أقنعت السياسة الغربية صدام حسين فارتكب واحدة من أكبر وأشنع الحماقات السياسية في التاريخ الإسلامي كله، حيث اقتنع وبلغ ذلك الطعم الخبير، وصدق بسذاجة سياسية لا نظير لها أنه قادر على هزيمة إيران، ولا أدري كيف أقنع نفسه بذلك⁽²²⁾، على كل حال نحن الآن لا نحاكم صدام حسين، فليست هذه آخر جرائمه ضد العالم العربي والإسلامي، ولكننا نحاول إظهار وتوضيح الدور الغربي بقيادة الولايات المتحدة في إشعال حرب الخليج الأولي، التي أودت بحياة مئات الألوف من شباب الشعبين الإيراني والعراقي، وبلغت خسائرها المادية عشرات المليارات من الدولارات، ودمرت المنشآت الاقتصادية في كلا البلدين الجارين المسلمين، وتدمير البلدين لم يقتصر عليهما بل كانت له انعكاسات خارج حدودهما، وعلى جيرانهما العرب⁽²³⁾ فليس سراً أن بعض

البلاد العربية البترولية كانت تساعد طرفي النزاع ليستمر النزاع وسفك الدماء أطول فترة ممكنة، لأن هذه مشيئة الأمريكان، وهل هناك دولة عربية تستطيع أن تقول لأمريكا لا؟ مرة أخرى نحن لا نحاكم العرب الآن فسيحاسبهم التاريخ لا محالة لكننا كما قلنا سابقاً - نظهر الدور الغربي بصفة عامة والدور الأمريكي بصفة خاصة في تدمير العالم الإسلامي ولن نستشهد بكلام أحد في إثبات ذلك الدور سوى كلام الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون فهو يعترف بذلك الدور صراحة، بل يشيد بسياسة الرئيس الأمريكي الأسبق أيضاً ريجان، لأنه هو الذي عاصر الحرب الإيرانية العراقية 1980 - 1988م وهندس سياسة أمريكا نحوها يقول نيكسون: «كثير من المراقبين أنصار العودة إلى الماضي يدينون سياسة الولايات المتحدة أثناء الحرب بين إيران والعراق، وهم يعبرون عن الصديق لأننا ساعدنا بالتناوب أحد الجانبين، ومن ثم الآخر، حسب مدة المعركة، وهم على حق جزئياً فقط، إن مصالحنا تطلبت ألا يخرج أحد من الجانبين كمنتصر حقيقي. وإن إدارة ريجان تصرف بصورة صحيحة في اللعب على الجانبين وفي السماح ببيع أسلحة إلى العراق، كان الخطأ في تجاوز الكميات المطلوبة للحد من قدرات إيران الهجومية، مما مكن صدام حسين لكي يصبح قادراً على التهديد العسكري بعد الحرب. يجب أن تحتفظ بمساحة متعمدة عند الدخول في تعاون تكتيكي لا يمكن تجنبه، مع مثل هذه الأنظمة. إن الدرس القاسي من تجربتنا مع العراق هو أن صديق اليوم الضمني يمكن أن يصبح عدو الغد اللدود وبالنسبة لحالة صدام حسين، فقد تكلفت 100 - مائة - بليون دولار، و148 ضحية أمريكية لتصحيح الخطأ» (24)، هذا اعتراف صريح بالدور الأمريكي في إشعال الحرب الإيرانية العراقية واستمرارها، والخطأ الوحيد فيها حسب رأى نيكسون أن العراق خذع أمريكا وخزن أسلحة مكنته من الأقدام على جريمته الثانية الأشد حمقاً والأكثر ضرراً اللأمتين العربية والإسلامية، وهي جريمة غزو الكويت أو ما سمي بحرب الخليج الثانية.

حرب الخليج الثانية:

من سوء حظ العرب والمسلمين أن المخططات الغربية الشيطانية لإبقائهم ضعفاء فقراء متخلفين، تجد من زعماء العرب والمسلمين - جهلاً وحمقاً، لا عمالة أو خيانة - من يساعد الغرب على تنفيذها، ومن النماذج الصارخة على ذلك حماقة التدخل المصري في اليمن سنة 1962 فلا شك أن تلك كانت مغامرة كبرى غير محسوبة بالمرّة من جمال عبد الناصر، فقد كانت فخاً من فخاخ الغرب الخطيرة لاستدراج مصر إلى اليمن وتوريثها في حرب طويلة ومريرة ليحطم الجيش المصري، بل ليموت عبد الناصر نفسه في سفوح جبال اليمن وينتهي دوره كقيادة عربية وطنية ذات نفوذ طاغي وشعبية لم يتمتع بها حاكم عربي منذ عهد صلاح الدين الأيوبي. ولاشك أن الأمة العربية كانت تعلق على ذلك البطل آمالاً كباراً، وكان قادراً على تحقيق آمال أمته، لو كان أكثر خبرة وتجربة وأكثر تعقلاً في اتخاذ قراراته، فلا يستطيع أحد حتى من أعدائه أن يشك في وطنيته وحبه الخير لأمته، لكنه الجهل بالسياسة الدولية وتعقيداتها وتدخلاتها، أو الاستبداد بالرأي، كل ذلك دفعه إلى اتخاذ ذلك القرار المدمر، والذي كان من نتائجه المباشرة والمدمرة أيضاً، الهزيمة المروعة في سنة 1967، وكانت تلك أيضاً حماقة أخرى من حماقاته، وقرار من أسوء قراراته وأخطرها، فكل الشواهد، بل تقارير المخابرات العسكرية المصرية منذ أواخر سنة 1966، وبداية سنة 1967 حسب ما نشر كثير من القادة المصريين في مذكراتهم ومنهم محمد عبد الغني الجمصى - كانت تحذره من الدخول في حرب مع إسرائيل، لأن الجيش المصري ليس مستعد لذلك، خاصة وأن نحو ثلث الجيش كان في ذلك الوقت لا يزال يكابد حرباً عقيمة بدون نهاية معروفة في سفوح جبال اليمن ووديانه. وكثير من أصدقاء مصر العالميين - ومنهم ذو الفقار على بوتو، ويوجين بلاك مدير البنك الدولي - وغيرهم، نبهوه وحذروه بأن هناك نية في الغرب لاصطياده وتحطيمه، بل القضاء عليه وأسموه الديك الرومي - وذلك حسب ما ذكر صديقه ومؤرخ عصره الأستاذ محمد حسنين هيكل (25). ولكن رغم كل ذلك

مضى في طريقه وأشعل الأزمة - أزمة خليج العقبة ومرور السفن الإسرائيلية فيه - وأعطى لإسرائيل والغرب فرصة من الفرص النادرة لاستدراج الجيش المصري والحق أكبر هزيمة حلت به منذ عصر الفراعنة إلى وقتها. وتكبدت مصر خسائر فادحة في تلك الحرب المشؤومة، وتكبدت خسائر وتضحيات أخرى جسيمة وخاضت حرب أكتوبر 1973 المجيدة لتنزيل عار هزيمته الفادحة في سنة 1967 وترد لمصر والأمة العربية كرامتهما وتعيد للشرف العسكري المصري عزته ومجده. هذه مجرد نماذج ومضى جمال عبد الناصر إلى ربه في 1970/9/28م ليترك أمته التي علقت عليه أكبر الآمال تلحق جراحها وتعاني مرارة الذل والهوان والهزيمة، ويترك وطنه مصر وقد احتل اليهود جزءا غالبا منه شبه جزيرة سيناء، وأغلقت نتيجة لذلك قناة السويس (26)... إلخ.

مضى جمال عبد الناصر وجاء دور صدام حسين، كان صدام حسين المهيمن على العراق فعليا منذ ثورة 1968م حتى مع وجود الرئيس أحمد حسن البكر، وكان صدام حسين زعيما واعدًا لوطنه العراق، وأمته العربية وكانت له طموحات كبيرة لتطوير بلده صناعيا واقتصاديا وكانت إمكانات العراق الهائلة - ثروة بترولية كبيرة، أراضي زراعية شاسعة وأهم من هذا كله شعب حي يعج بالكفايات البشرية في كل مجال - ولو منضت الأمور كما كان يتوقع الناس في العراق، وفي الأمة العربية في عقد السبعينيات من هذا القرن، لكان العراق اليوم في طليعة الدول الغنية المتقدمة في المنطقة. لكن - وآه من لكن - لم يتنبه صدام حسين - كما لم يتنبه جمال عبد الناصر قبله - إلى أن الغرب وإسرائيل لا يقبلون أن يتطور بلد عربي ويصبح خطرا على مصالح الغرب من جهة وعلى إسرائيل من جهة ثانية - وأظن ما ذكرناه نقلا عن صحيفة "كيفونيم" اليهودية قبل قليل. وما اقتبسناه من الرئيس نيكسون لا يدع مجالا للشك في هذا والواقع يؤيده. وكان على صدام حسين أن يدرك أن الغرب وإسرائيل لن يتركاه يمضي في سبيل تنمية وتطوير قدرات العراق الاقتصادية والعسكرية وكان عليه إزاء هذا أن يكون حذرا، وأن يحصن نفسه

ضد ما يحاك له من هذه الدائر الشيطانية، غير أن صدام حسين بدلا من ذلك راح يعطي لهم كل الفرص والذرائع للإيقاع به، وتدمير اقتصاديات بلاده - بل وبلاد عربية أخرى كثيرة - فكانت حماقته الأولى في خربه مع إيران والتي أشرنا إليها إشارة سريعة فيما سلف من هذا البحث، وهاهو الآن يرتكب الحماقة الأكبر، والأشد خطرا عليه وعلى أمته العربية بل على عالمه الإسلامي، حيث بلع الطعم مرة أخرى، فكما أقنعتة السياسة الغربية بالملكة بقدرته على هزيمة إيران، وإزاحتها من طريق سيطرته على العالم العربي، هاهي ذات السياسة تصنع له خديعة أخرى حيث أفهمته السفارة الأمريكية في بغداد - جاسبي ابريل (27) - مكرا وخداعا - أن أمريكا لن يهملها في شيء إذا هو زحف على الكويت وأخذها لأنه لا توجد اتفاقيات دفاع مشترك بين أمريكا والكويت ولا أدري كيف انطلت هذه الخدعة على الرئيس صدام حسين، وكيف بلع ذلك الطعم المسموم، لأنه ليس أمريكا فقط وحلفاؤها الذين لا يقبلون أن يبلع صدام حسين الكويت، وسيسيطر على 50٪ من بترول العالم. بل هناك دول إقليمية مجاورة للعراق وقريبة منه ترى في احتلاله للكويت تهديدا لمصالحها وأمنها، ومن هذه الدول، إيران وتركيا ومصر، والسعودية وبقية دول الخليج، ناهيك عن إسرائيل، التي كانت تعتبر العراق الد أعدائها، وكان قصارى أمانها أن تورطه في حرب مع سوريا، ولكن حسن الحظ الذي لازم إسرائيل منذ وجودها، ساق لها فرصا نادرة، فبدلا من توريط العراق في حرب مع سوريا شاءت سياسة زعيمه صدام حسين أن تورطه في حرب مع العالم، وأن يدمر بلده تدميرا كاملا، أقدم صدام حسين على غزو الكويت في 2/8/1990م بذلت محاولات كثيرة عربية منها مؤتمر القاهرة 10-8 أغسطس سنة 1990 ودولية لإخراجه من الكويت ولكنه ركب رأسه ولم يضع لأي صوت ناصح. فكانت حرب الخليج الثانية - عاصفة الصحراء - المدمرة والتي استمرت ما يقرب من أربعين يوما 16 يناير - 24 فبراير سنة 1991م والتي أحدثت في العراق من الدمار والخراب ما يحتاج إصلاحه ربما إلى قرن كامل. والأخطر من ذلك الحصار القاتل

التي استطاعت أمريكا بنفوذها أن تفرضه على الشعب العراقي، لتجويعه، ويعرف العالم كله كم من أطفال العراق يموتون من سوء التغذية، وكم من رجاله ونسائه يموتون وتفترسك بهم الأمراض لعدم وجود الدواء الكافي. نحن لا نناقش هنا وجه الظلم في سياسة حصار العراق، وفرض الوصاية الدولية على مقدراته وثرواته فهذا موضوع آخر يتعلق بالنظام الدولي الجديد والعدالة التي تنتشرها أمريكا في العالم بعد أن انفردت بزعامته.

ولكننا فقط نلوم الزعيم الذي عرض وطنه وأمته لهذا البلاء المبين والكرب العظيم، ولم يدرك أن الخروج على الخطوط الحمراء للسياسة الأمريكية يؤدي إلى الحتف، ومن سوء حظه أنه كان أول من خرج على هذه الخطوط وأول متمرّد على النظام العالمي الجديد وعلى زعامته، مما استوجب من وجهة نظرها أن تكون ضربته قاتلة بل مدمرة ليكون عبرة لمن يعتبّر. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الإسلام العدو الأول للغرب:

هكذا يقول الغربيون صغاراً وكباراً، من رؤساء الدول وزعماء السياسة إلى الصحفيين والكتاب، الإسلام العدو الأول للغرب والحضارة الغربية بعد زوال الشيوعية.

الإسلام الذي كان الحليف الأول والأكثر فعالية للغرب في صراعه مع الشيوعية. أصبح اليوم - بين عشية وضحاها - العدو الأول، ومبدأ الجهاد الذي استثمره الغرب في القضاء على الشيوعية، أصبح الآن هو الإرهاب بعينه، وهذا العداء الغربي للإسلام لا يخفيه الغربيون أبداً، بل يعلنونه بتفاخر بلسان حالهم وبأفعالهم معاً. وكل تعاملهم مع المسلمين يقوم على منطق التعالى والإحساس بالتفوق وأنهم الأذكى والأعلم والأكثر تحضراً، بل لا يعترفون أبداً للعالم الإسلامي بأي تحضر، وكيف يكون متحضراً وهو العدو الأول للحضارة، وعلى الرغم من المؤتمرات والندوات واللقاءات التي تعقد في الغرب وفي البلاد

الإسلامية - وما أكثرها - تحت شعار التعاون والتحاور والاتفاق المشتركة - بين العالم الإسلامي والغرب - رغم كل هذا إلا أن التصرفات العملية تنضج بالاحتقار للعالم الإسلامي من جانبهم. وأكبر بلد تظهر فيها تلك الروح العدائية للإسلام والمسلمين هي أمريكا وهذا هو الرئيس نيكسون الذي يقول في صراحة يحسد عليها ودون موارد: « لا توجد دولة ولا حتى الصين الشيوعية، تحظى بالصورة السلبية - تعبير نهذب عن الكراهية والعداء - في الضمير الأمريكي، كما هو الحال بالنسبة للعالم الإسلامي » (28) ويقول نيكسون في عبارة أخرى: « إن العالم الإسلامي يشكل واحداً من أعظم التحديات للسياسة الخارجية الأمريكية في القرن الحادي والعشرين » (29).

ومادام العالم الإسلامي يحظى في الضمير الأمريكي بهذا القدر من العداء والكراهية ومادام يشكل أعظم التحديات للسياسة الخارجية الأمريكية في القرن القادم فلا بد أن تجند أمريكا - وحلفاؤها - كل قواها لمحاصرة هذا العالم وتتخذ من الاجراءات ما يجعله دائماً ضعيفاً مفككا حتى لا يشكل لها خطراً.

ومن مظاهر هذا العداء الغربي للإسلام ومن الاجراءات التي بدأت تؤتى ثمارها في هذا المجال ويمكن أن نوجزها في عدة نقاط، على النحو التالي:

أ- الانهيار الاقتصادي السريع الذي حدث في دول جنوب شرق آسيا خاصة الدول الإسلامية - اندونيسيا وماليزيا - منذ مطلع العام الماضي 1997. وأيادي الغرب وأمريكا خاصة ليست خافية في هذا المجال، فهي لا تريد أبداً أن تقوم أية نهضة أو تنمية اقتصادية في أي بلد إسلامي، حتى لا تسرى العدوى إلى غيرها، فلا بد أن يرتبط الإسلام دائماً بالتخلف والفقر، ليعيش المسلمون ضعفاء فقراء أذلاء.

ب - منع أي تقارب أو تجمع سياسي أو اقتصادي بين الدول الإسلامية، والمثل القريب جداً مجموعة الشمانية: التي دعا إليها رئيس وزراء تركيا السابق ورئيس حزب الرفاه الإسلامي، نجم الدين أربكان، والذي دعا إليه

إضافة إلى تركيا، إيران وباكستان وإندونيسيا وماليزيا وبنجلاديش ومصر ونيجيريا، هذا التجمع الذي يضم ثمان من كبريات الدول الإسلامية، والتي يبلغ مجموع سكانها أكثر من ثمانمائة مليون مسلم، ومنها دول متطورة اقتصاديا وصناعيا، مثل مصر وتركيا وإيران وإندونيسيا وماليزيا وباكستان، ومنها دول بترولية أعضاء في منظمة الأوبك مثل إيران وإندونيسيا ونيجيريا. هذا التجمع لو قدر له أن يظهر إلى حيز الوجود لكان من الممكن أن يكون تكتلا اقتصاديا إسلاميا هائلا، ويمكن أيضا أن يكون قوة سياسية مؤثرة في سياسة العالم، وفوق كل هذا، بل أهم من هذا يمكن أن يرفع الروح المعنوية للعالم الإسلامي، ويخلصه من حالة الإحباط التي يعانيها، ولكن كيف ذلك، وهل يسمح النظام العالمي الجديد بذلك؟ أبدا دون ذلك خطر القتاد، وكان أول ضربة توجه إلى هذا الوليد قبل أن يرى النور كانت القضاء على الداعي إليه، نجم الدين أربكان، بل القضاء على حزبه وإخراجه من الساحة السياسية في تركيا، ليموت الحلم قبل أن يولد وجر تركيا أو إجبارها على الدخول في تحالف استراتيجي - سياسي وعسكري واقتصادي - مع إسرائيل بمباركة أمريكا ومشاركتها، وإفساح المجال لها في السوق الأوروبية كتعويض لها عن اتجاهها الإسلامي الذي لا يرضى عنه الغرب. وطبعا السياسة الغربية لم تكن غافلة عن الصحو الإسلامية في تركيا وزحف الإسلاميين على الحكم، ولا غافلة عن أهمية تركيا بالنسبة للغرب - حتى بعد زوال الشيوعية - بل ربما تكون أهميتها قد زادت بالنسبة للغرب بعد زوال الشيوعية، لأنها ستكون ورقة رابحة في يد الغرب لإجهاض أي نهضة إسلامية، ولجعلها تتخذ سياسة مناهضة لمصلحة العالم الإسلامي وهذا هو ما يحدث الآن بالفعل. والذي يعد نتيجة لتخطيط غربي ذكي وماهر، ومن عادته أن يعد للأمر عدته قبل أن يحدث، انظر ماذا يقول الرئيس نيكسون عن تركيا: تركيا الجسر الجغرافي والثقافي - الذي - يربط بين العالمين الغربي والإسلامي، تتمتع بحكومة ديمقراطية عاملة منذ 9 سنوات وقدمت قوات للناتو - حلف شمال الأطلسي -

أكبر من أي دولة عضو في الحلف ويجب أن ندفع حلفاءنا الأوربيين ليقول تركيا في السوق الأوروبية واتحاد أوروبا الغربية» (30) ولهدف حقيقي هو إبعادها عن محيطها الإسلامي بل جعلها تتبنى سياسة مناهضة لنهضة وتقدم العالم الإسلامي، وهو ما حدث بالفعل.

ج - سياسة الحصار والتجويع التي تمارستها السياسة الغربية بزعامة الولايات المتحدة لبعض الدول العربية والإسلامية التي لا تخضع لسياساتها وتخرج عن طاعتها، والمثل الصارخ لذلك حصار العراق وليبيا وإلى حد ما السودان وإيران.

د - تصنيع الإرهاب من الجهاد: لقد اقتبست هذا العنوان من بحث الدكتور مصطفى رمضان الذي سبقته الإشارة إليه. (31)

إن أمريكا هي الصانع الأول للإرهاب والإرهابيين في العالم، والنواة الأولى لذلك هم المجاهدون الأفغان الذين جندتهم الولايات المتحدة - من بعض البلاد العربية والإسلامية - ودربتهم وسلحتهم، واستخدمتهم لتحقيق هدفها وهو إخراج الاتحاد السوفيتي من أفغانستان وقد تحقق الهدف الأمريكي ربما بأكثر مما كانت تتوقع أمريكا، فلم يخرج الاتحاد السوفيتي من أفغانستان ذليلاً محطماً فقط، بل خرج من الدنيا كلها وحدث الزلزال الذي أودى بالبنيان كله، فقد زال الاتحاد السوفيتي وترك الساحة العالمية لأمريكا تفرح وتعربد فيها وحدها. وحديثنا ليس عن هذا ولكن عن المجاهدين الذين كانوا قرة عين أمريكا، والذين رتبهم ودربتهم مخابراتها ذات الخبرة الكبيرة في التدريب على الخراب والدمار: فماذا حدث لهم بعد أن حققوا لها ما كانت تصبو إليه في أفغانستان؟ يبدو أن أمريكا قد أعدت للأمر عدته؛ كعادتها في عدم ترك أي شيء للصدفة والارتجال، ولا شك أن السياسة الغربية كلها لا تعرف الارتجال، بل تقوم على تخطيط سليم، يقوم به خبراء متمرسون في كل مجال من مجالات الحياة، لذلك خططت لتصير المجاهدين أثناء جهادهم في أفغانستان حتى إذا انتهت مهمتهم هناك بدأت تستثمرهم في مهمة أخرى، مهمة أيضاً بالنسبة لها

وهي ارباك العالم الإسلامي وإغراقه في بحور من الفتن والإرهاب، فقد كان تحالفها مع العالم الإسلامي أثناء الحرب الباردة ضد العالم الشيوعي تحالف ضرورة، تماماً كتتحالفها مع العالم الشيوعي نفسه أثناء الحرب العالمية الثانية - ضرورة الوقوف في وجه النازية - وبعد ان انتهت الحرب الساخنة بدأ العداء مع العالم الشيوعي فيما يسمى بالحرب الباردة، والذي جعل العالم الغربي يتحالف مع العالم الإسلامي ضده، فلما انتهت الحرب الباردة وسقط العالم الشيوعي وهزم بدون حرب، تحول العالم الإسلامي من حليف إلى عدو بل العدو رقم واحد للغرب عامة وأمريكا خاصة، ومن ثم أخذت أمريكا تعيد تصدير المجاهدين الأفغان إلى أوطانهم الأصلية لكن ليس باسم المجاهدين لكن باسم الإرهابيين، لأنها شحنتهم بالكراهية الشديدة والعداء لأوطانهم - وألتهها الإعلامية في ذلك رهيبة - ولم يصمد أمامها الزعماء فكيف يصمد أمامها ذلك الشاب الغر - عادا المجاهدون الأفغان - سابقاً - إلى أوطانهم كارهين كل شيء متهمين أوطانهم بالكفر والجاهلية شاهرين أسلحتهم مشيعين الخراب والدمار والقتل بطريقة عشوائية والنماذج على ذلك كثيرة - في الجزائر ومصر وغيرها - ولازال المسلسل مستمراً.

أمريكا إذن هي الصانعة الأولى لهذا الإرهاب الأسود الذي يعيث فساداً في كثير من البلاد العربية والإسلامية، وفي الوقت نفسه تلصقه بالإسلام، وهي التي صنعتها، هي التي تأوى عتاه الإرهابيين في بلادها وتوفر لهم الحماية (32).

هـ - من براهين العداء الغربي عامة، والأمريكي خاصة للإسلام والعالم الإسلامي، الصاق كل النقائص والرذائل بالإسلام، فهو عندهم دين دموي ومتعصب ضد الحضارة والإنسانية والمسلمون كلهم إرهابيون. ويكفي أن يقرأ الإنسان كتاباً واحداً - وهناك كتب كثيرة في هذا المجال - ليعرف مدى الكره والعداء الذي يكنه الغرب للإسلام والمسلمين؛ ذلك الكتاب هو "الإسلام والغرب" (33) للأستاذ رجب البنا، الذي كتبه بعد رحلة طويلة زار خلالها الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول أوروبا وكتب كتابه هذا بعد مشاهدة

وسماع، وخلص إلى أن العداء الغربي للإسلام ليس مجرد دعاية إعلامية، كما كنا نظن، وإنما هو شيء متأصل في نفوس الغربيين وقلوبهم، والأهم من ذلك والأخطر هو أثر ذلك العداء الغربي للإسلام على صناعة القرار السياسي في الغرب، إذا كان ذلك القرار يتعلق بالعالم الإسلامي. كذلك كتبت الدكتوراة منى حسين مؤنس وهي أستاذة جامعية متخصصة في اللغة والأدب الانجليزي سلسلة مقالات خطيرة في مجلة أكتوبر القاهرية (34) تحت عنوان "مصر والعرب في عيون الغرب وأدبه" أتت فيها بحقائق ووقائع مذهلة تكشف عن العداء الغربي القديم والحقد والكراهية، بل الاحتقار الذي يكنه الغربيون للإسلام والمسلمين، وهي تكتب ما تكتب عن خبرة وتجربة ومعايشة للأوروبيين في بلادهم، وفي مصر أيضا. وتقول في وضوح: «إن الأوروبيين يربون أطفالهم منذ الصغر على كره واحتقار كل ما هو عربي وإسلامي، معنى هذا أن روح العداء للإسلام التي زرعها رجال الكنيسة في العصور الوسطى لازالت سارية المفعول، ألم يقل برناردشو: «لقد كانوا - رجال الكنيسة والمعلمون - يمرنوننا على كراهية محمد - ﷺ وكراهية دينه ويصورونه لنا على أنه عدو وخصم للسيد المسيح (35)» وأنه لشيء محير ويبعث على الأسى أن تكون هذه هي صورة الإسلام والمسلمين عند الغربيين، مع أنه في حقيقته دين سلام ورحمة ومحبة وتسامح وعدل وحرية، ودين بنى وشاد حضارة عالمية راقية، حملت الخير للبشرية عامة، وللأوروبيين خاصة، ولم تقم نهضتهم وحضارتهم الحالية إلا على أساس علوم المسلمين ومعارفهم، وكثيرون من علمائهم وعقلائهم يعترفون بذلك. غير أن تلك الأصوات العاقلة تضيق وسط الضجيج الإعلامي الكاسح في الغرب للإسلام. وإليك نموذج مما يجرى في الغرب ضد الإسلام والمسلمين. يقول أحد الكتاب: «كعادة الإدارة الأمريكية في اتهام بعض الدول العربية والإسلامية بمناسبة وبدون مناسبة بالإرهاب وإيواء جماعات الإرهاب، أعلن مدير المخابرات المركزية الأمريكية منذ أيام، أن هناك 12 دولة تعد للقيام بعمليات اختراق لشبكات المعلومات الأمريكية، وقال - لافض فوه - في جلسة

مغلقة أمام الكونجرس، إن في مقدمة هذه الدول إيران وليبيا والعراق! والمضحك أن بعض المصادر الرسمية الأمريكية أعلنت في الوقت نفسه أنه تم القبض على ثلاثة إسرائيليين بتهمة اختراق شبكات الكمبيوتر لوزارة الدفاع الأمريكية! ألا يستحي كبار المسئولين الأمريكيين حينما يتهمون إيران والعراق وليبيا بمحاولة التجسس على الأمن القومي الأمريكي بينما شاء ربى وربك ورب الكون إظهار الحقيقة، فتم اعتقال الجواسيس متلبسين باختراق شبكات الكمبيوتر الخاصة بالهفتاجون، وكانوا من حلفاء أمريكا الإسرائيليين. ثم كيف بالله يمكن للعراق وليبيا أن تتجسسا على أمريكا وهما تعانيان من الحصار الظالم الذي فرضته أمريكا عليهما منذ سنوات، ولم تعد تربط العراق وليبيا بالولايات المتحدة أية علاقات سوى علاقات التجويع والإذلال التي تفرضها أمريكا عليهما بغير وجه حق (36).

و - من مظاهر، بل من دلائل العداء الغربي للإسلام احتضان الغرب لكل من يسبب الإسلام ونبي الإسلام "عليه الصلاة والسلام" ويهين المقدسات الإسلامية، ويجرح مشاعر المسلمين، والأمثلة على ذلك كثيرة. أنظر إلى سلمان رشدي "الهندي الجنسية" المقيم في بريطانيا، كيف احتفى به الغرب وبسط عليه حمايته بعد صدور روايته التافهة - آيات شيطانية - وكيف استقبله الرئيس كلينتون في البيت الأبيض لمدة ساعتين - وأنظر إلى تسليمه نسرين - البنغالية وكيف استقبلت في فرنسا من أعوام قليلة استقبال رؤساء الدول، لأنها أهانت الإسلام، عقيدة شعبها، فحرية الفكر والرأي في أوروبا لا تراعى إلا عندما يكون الهجوم على الإسلام وعلى المقدسات الإسلامية.

ز - في شهر مايو الماضي 1998 فجرت الهند خمس تفجيرات نووية وتبعتها باكستان - بعد نحو أسبوعين - بست تفجيرات وهنا انطلقت الدعايات الغربية والصهيونية تتحدث وتخوف العالم من القنبلة الباكستانية بالذات لأنها قنبلة إسلامية، ومع أن رئيس وزراء باكستان نفى ذلك وقال إن القنبلة هي باكستانية للرد على القنبلة الهندية وليست إسلامية لأن القنابل لا دين

لها، ورغم ذلك فإن الإعلام الغربي والصهيونية يصر على وصف القنبلة الباكستانية بأنها القنبلة الإسلامية. ومع أن أمريكا هي أول دولة في العالم صنعت القنبلة الذرية بل استخدمتها بدون ضرورة في تدمير مدينتي يابانيتين - هيروشيما 1945/8/6 وناجازاكي 1945/8/9 إلا أن أحدا لم يسم قنبلتها بالقنبلة المسيحية، وتبعها روسيا فلم يسم أحد قنابلها بالقنابل الشيوعية ولا سمى أحد القنابل الإنجليزية والفرنسية بالمسيحية ولا القنابل الإسرائيلية بالقنابل اليهودية، ولا حتى القنابل الهندية التي سبقت الباكستانية فلم يسمها أحد بالقنابل الهندوسية، فقط قنبلة باكستان التي تسمى بالإسلامية وتركيز شديد واستمرار والمعنى واضح، وهو تشويه سمعة الإسلام والمسلمين.

حـ - آخر التقاليع الأمريكية في هذا السياق - قانون الاضطهاد الديني أو حماية الأقليات الدينية والذي وافق عليه مجلس النواب الأمريكي في مايو 1998 بأغلبية كبيرة (375 صوتا ضد 41 - وهذا القانون يقضي بفرض عقوبات اقتصادية على الدول التي بها أقليات دينية، بزعم أنها تضطهد تلك الأقليات الدينية، وهذا قانون لا مثيل له في الدنيا لأنه تدخل واضح وفاضح في شئون الدول الداخلية، ولكن الهدف الأمريكي من ذلك غير خاف على أحد، وهو مضايقة الدول الإسلامية وإحراجها كلما أرادت أمريكا ذلك، والشيء المؤسف أن الكونجرس الأمريكي - الذي يسيطر عليه اللوبي الصهيوني - يصر على أن المسلمين في مصر يضطهدون المسيحيين في الوقت الذي يعلن فيه المسيحيون أنفسهم وعلى لسان أكبر مسئول وهو رئيس الكنيسة المصرية البابا شنودة الثالث أنه لا يوجد اضطهاد ولا سياسة عداوية للمسيحيين في مصر لا من الدولة ولا من المواطنين المسلمين، وأن حوادث الإرهاب التي يتعرض لها أحيانا بعد المسيحيين، هي حوادث فردية وليس لها بعد سياسي أو ديني ويتعرض المواطنون المسلمون لأضعافها، ولكن على الرغم من كل ذلك إلا أن أعضاء الكونجرس يصرون على الاتهام ويقولون للبابا وغيره من قادة

المسيحيين نحن نعرف أكثر منكم.

والخلاصة أن العداء الغربي عامة والأمريكي خاصة للإسلام والمسلمين دلائله ومظاهره أكثر من العد والحصر. فالغرب أخذ في توسيع حلف الأطلسي وامتداده شرقا - ضم دول أوروبا الشرقية إليه - مثل بولندا والمجر وجمهورية التشيك - ما ضرورة ذلك بعد زوال الشيوعية؟ يقولون في الغرب للوقوف في وجه العالم الإسلامي - المغلوب على أمره الآن - بل أن الرئيس نيكسون يرى ضرورة التحالف مع روسيا ما بعد الشيوعية إذا اقتضى الأمر للوقوف في وجه العالم الإسلامي (38).

أهم المشكلات التي يعانيها المسلم المعاصر:

في الصفحات السابقة تحدثنا - بإيجاز شديد - عن سياسة الغرب بقيادة الولايات المتحدة نحو العالم الإسلامي، والتي تراوحت بين التحالف معه إذا كان ذلك في مصلحتها - كما حدث في فترة الحرب الباردة - إلى اعتباره العدو الأول بعد انتهاء تلك الحرب، وظهور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، الذي تنفرد الولايات المتحدة بقيادته والسيطرة عليه. لقد أصبح واقع العالم الإسلامي بعد انتهاء الحرب الباردة أسوأ مما كان عليه أثناءها، ونتيجة لسياسة الغرب ومكائده ضد العالم الإسلامي واشعال الحروب الأهلية والاقليمية بين دوله وشعوبه، ومحاصرته اقتصاديا وسياسيا ليظل دائما ضعيفا مفككا، متخلفا صناعيا، وسوقا كبيرا للمنتجات الغربية، ونتيجة لهذا كله نرى العالم الإسلامي الآن غارقا في العديد من المشكلات الصعبة، على مختلف الأصعدة؛ السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والحقيقة ليس من السهل الحديث عن العالم الإسلامي على اتساعه وتنوعه بأسلوب واحد، أو بمعايير واحدة. فالعالم الإسلامي من حيث المساحة الجغرافية، يشغل حيزا هائلا، فهو يمتد من طنجة إلى جاكارتا ومن غانا إلى فرغانه (39)، فضلا عن هذا فالعالم الإسلامي شديد التنوع من حيث الموقع والمناخ والثروات الطبيعية والسلالات البشرية... إلخ. «ولقد حاول البعض أن يربط الإسلام بالجفاف والصحارى، ولكن

الحقيقة أبعد ما تكون عن هذا فالإسلام يتراعى حتى خط الاستواء، عبر بيئات طبيعية شديدة التفاوت، من الغابات الإستوائية إلى المدارية، ومن السافانا الإفريقية إلى الاستبس الآسيوي. ومن أدغال الهند إلى الفلد الإفريقي. فهو إذا يتوزع في المناطق الحارة والمعتدلة والباردة على السواء، كما ينتشر في الصحاري الجافة والأعشاب المطرية والغابات الكثيفة بلا استثناء. وبالمثل نجد الإسلام البحري على الساحل كما نجده في صميم القارات من الداخل، بل إن السواد الأعظم من المسلمين أقرب إلى التمرکز على القطاعات الساحلية والبحرية ومنتقل من النواحي الطبيعية إلى الجانب البشري لنجد نفس التنوع داخل العالم الإسلامي، فالإسلام ينتظم من الأجناس والسلالات، ومن اللغات والقوميات ما يجعله متحفا بشريا، فمن سلالات البحر المتوسط النوقازية غربا إلى الأجناس الزنجية جنوبا، ومن القوميات العربية والتركية والإيرانية، إلى القوميات الطوزانية في وسط آسيا إلى الملاوية والأندونيسية في جنوبها... وكل من هذه أو بعضها قابل للقسمة إلى مزيد من التفرعات والتصانيف (40).

بناء على الحقائق السابقة فواقع الإنسان المسلم يختلف من مجتمع إسلامي إلى آخر اختلافا كبيرا، فهناك مجتمعات إسلامية ذات ثروة هائلة - الدول البترولية على سبيل المثال - ومستوى معيشة سكانها مرتفع جدا، وهناك مجتمعات متوسطة الثراء، وهناك مجتمعات فقيرة، بل شديدة الفقر وكل مجتمع من هذه المجتمعات له مشكلاته وواقع الإنسان يختلف باختلاف تلك المجتمعات وتنوعها، غير أن هناك العديد من المشكلات التي تكاد تكون عامة أو هي الظواهر السائدة في العالم الإسلامي، فعلى الرغم مما يبدو على السطح من التوحد - تحت مظلة منظمة المؤتمر الإسلامي مثلا - إلا أن من المؤسف أن العلاقات الإسلامية ليست على ما يرام، أو ليست على المستوى المقبول على الأقل في عالم جديد ونظام جديد يعمل كل ما في وسعه للضغط على العالم الإسلامي وخصاره بل خنقة ليظل دائما تحت السيطرة الغربية ولذلك سأحدث عن ظاهرتين فقط من الظواهر العامة، والتي تشترك فيها معظم المجتمعات

الإسلامية، وهاتان الظاهرتان قد تكونان السبب الرئيسي في معظم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية في العالم الإسلامي.

1- الظاهرة الأولى: العلاقات الإسلامية فعلى الرغم من أن القاعدة الأصلية التي رسخها القرآن الكريم في الأمة الإسلامية هي الوحدة كما يقول ربنا تبارك وتعالى: **﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾** (41).

والدعوة القوية إلى المحافظة على هذه الوحدة وعدم التفرق كما يقول الله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾** (42).

وأن الله تعالى يحب عباده الذين يجاهدون في سبيله صفا واحدا كأنهم بنيان واحد متمثل، كما قال تعالى: **﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾** (43) وأن الله تعالى يصف المؤمنين جميعا بأنهم إخوة حيث يقول تعالى: **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾** (44) هذه بعض النصوص فقط كأمثلة دالة على أن الأصل في الأمة الإسلامية أن تكون أمة واحدة، وأحاديث الرسول ﷺ التي تحث المسلمين على الوحدة والتماسك والتعاون والتعاطف والتناصح... إلخ أكثر من الحصر ولكن على الرغم من هذا كله فإن العلاقات الإسلامية في الوقت الحاضر بعيدة عن هذا، والشواهد على ذلك كثيرة، والكلام فيها أيضا يمكن أن يكون كثيرا، ويكفي أن نقتبس بعض كلام الرئيس نيكسون في وصف العلاقات الإسلامية وإن كان كلامه لا يخلو من نبرة شماته، إلا أنه في الواقع فيه بعض الصديق للأسف الشديد، يقول نيكسون: «الصراعات والتنافسات في العالم الإسلامي جعلت منه مرجلا من النزاعات، والقائمة القصيرة لهذه النزاعات تشمل المغرب ضد الجزائر، ليبيا ضد الجزائر، وليبيا ضد تشاد، العالم العربي ضد إسرائيل، الأردن ضد السعودية، سوريا ضد الأردن، وسوريا ضد لبنان، العربية السعودية ضد دول الخليج الصغيرة، السعودية ضد اليمن، العراق ضد سوريا، العراق ضد الكويت والسعودية، العراق ضد إيران، دول الخليج العربية ضد إيران، باكستان ضد أفغانستان، الهند ضد باكستان وبنجلاديش، أندونيسيا ضد مالايزيا وغينيا

الجديدة. وإن الكثير من الدول هي تآلفات اصطناعية، من عدة دول، أو مجموعات عرقية، فإن التنازع الداخلي يسود المنطقة، وكثير من الدول في العالم الإسلامي هي لبنان المستقبل (45)، تنتظر ما يمكن يحدث» (46).

من المؤسف أن معظم ما ذكره نيكسون صحيح، ونراه بأعيننا وتسمعه بأذاننا. والكل يعرف نتائج هذه الصراعات والحروب على واقع الإنسان المسلم وكيف أثرت فيه وجعلته أسير التخلف والفقر والجهل والمرض... إلخ.

إن تكاليف حربي الخليج؛ الأولى بين إيران والعراق والتي استمرت ثمان سنوات 1980 - 1988م والثانية غزو الكويت 1990 - 1991م إن تكاليف هاتين الحربين فقط كانت كفيلا لو استثمرت ألا تدع مسلما فقيرا أو بدون عمل أو بدون مسكن... إلخ. فماذا لو تحدثنا عن بقية الحروب مثل حروب العرب مع إسرائيل من 1948، 1956، 1967، 1973، والحروب الأهلية في الصومال والسودان وأفغانستان... إلخ.

2. الظاهرة الثانية: التي تكاد تكون عامة في أغلب الدول في العالم الإسلامي هي غياب الديمقراطية والحرية، وفي الوقت الذي يتم فيه انتقال السلطة في أوروبا وأمريكا من حاكم إلى آخر بهدوء، وطبقا لقواعد دستورية وديمقراطية، تم ضبطها بقوانين مرعية يحترمها الجميع، تتحكم فيها إرادة الناخبين الحرة، وصناديق الانتخاب، يتم هذا في أوروبا وأمريكا: «أما في العالم الإسلامي فما زالت مشكلة انتقال السلطة من حاكم إلى آخر تتم بالقوة، والحكم لمن غلب. وبسبب ذلك ينتشر العنف والتطرف، وتقوم الحروب التي تحدث الدمار الشامل إلى أن يستقر الوضع للأقوى» (47).

ويكفي كمثال واحد على هذا ما حدث في أندونيسيا منذ شهور، فإن رجلا ظل يحكم بلاده حكما مستبدا، طوال اثنين وثلاثين عاما 1966 - 1968م وهو الرئيس سوهارتو، ونهب من ثرواتها حسب ما ذكرته وسائل الإعلام أكثر من أربعين ألف مليون دولار. ولما فاض الكيل بالناس وبلغ السيل الزبى اندلع

العنف، وأصبحت البلاد على حافة الهاوية، وكل هذا والرجل لا يريد أن يترك سدة الحكم، رغم تقدمه في السن، ولولا الضغوط الشديدة من الداخل والخارج وبصفة خاصة من أمريكا لأغرق بلاده في بحور من الدماء. فبعد ساعات فقط من نصيحة وزيرة خارجية أمريكا، السيدة مادلين أولبرايت له بترك الحكم، تركه مع أنه كان قبل ذلك يساعات قد أعلن أنه لن يتخلى عنه.

أليس مما يبعث على الأسى والحسرة أن تسود الديمقراطية والحرية في أوروبا وأمريكا ويسود الاستبداد في أغلب دول العالم الإسلامي، مع أن الإسلام دعوة صريحة إلى الحرية والكرامة الإنسانية، والشورى الإسلامية أعظم من الديمقراطية الغربية، ويوم أن كانت الشورى الإسلامية مطبقة، وعندما كانت تجد من الحكام من يلتزم بها كان العالم الإسلامي هو العالم الأول على ظهر الأرض، الأول في نظافة الحكم وعدالته، الأول في العلم والمدنية، الأول في الثروة، الأول في التسامح مع الشعوب الغير إسلامية وإشاعة روح الود بين الناس. يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - : «إن طريقة الإسلام في إدارة دفة الحكم هي التي جعلت الشعوب تفتح له ذراعيها، لأن الحكم كان عبادة الله، ولم يكن شهوة نهوم إلى العظمة، أو مفتون بالسلطان، وإدراك أن الحكم مسئولية مؤرقة هي التي جعلت الخليفة في المدينة المنورة يعد نفسه مسئولاً عن أطراف الدولة البعيدة. حتى قال عمر: «لو عثرت بغلة في العراق لحسبت عمر مسئولاً عنها لم لم يسو لها الطريق» (48) ويوم أن صاح عمر في أميره على مصر، عمرو بن العاص «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» في قضية مشهورة، يوم أن صاح عمر بن الخطاب هذه الصيحة المدوية في الربع الأول من القرن الهجري الأول، النصف الأول من القرن السابع الميلادي، كانت هذه الصيحة غريبة على الناس، فلم يعرف التاريخ حاكماً قبل عمر بن الخطاب جرى على لسانه مثل هذا الكلام. ولكنه الإسلام، وتربية الرسول ﷺ لصحابته على الحرية والعزة والكرامة هي التي فاضت على هؤلاء الرجال وجعلت هذه الكلمات المباركات تجرى على ألسنتهم، ولم تكن كلاماً فقط للاستهلاك المحلي، وإنما كانت

سلوكا وأسلوبا للحكم وسياسة عملية يسوسون بها عباد الله. لقد فهم عمر من كتاب ربه ومن سنة نبيه وصحبته أن الناس يولدون أحرارا، فليس لأحد حق في أن يستعبدهم»⁽⁴⁹⁾ والعجيب أن الغرب لم يصل إلى ما وصل إليه من الديمقراطية والحرية إلا على تلألؤ من الأشلاء وبحور من الدماء أما المسلمون فقد منحهم الله تعالى الحرية والكرامة والعزة، ومنحهم طرازا عاليا من الحكم النزيه هدية من السماء، ولكنهم للأسف لم يصونوا هذه الهبات الإلهية ولم يحافظوا عليها، فألت أحوالهم إلى ما ألت إليه من سوء.

كنت أريد أن أتحدث عن المزيد من المشكلات التي يعانيتها المسلم في المجتمعات الإسلامية المعاصرة ولكن أخشى الإطالة من ناحية، ومن ناحية ثانية فأن هاتين المشكلتين اللتين أشرت إليهما، العلاقات الإسلامية وغياب الديمقراطية الحقيقية وشيوع الاستبداد في الحكم في كثير من بلاد العالم الإسلامي تأتي من ورائها كل المشكلات، بل كل المصائب فسوء العلاقات وكثرة المنازعات والخصومات بين كثير من البلاد الإسلامية بدد طاقات الأمة البشرية والمادية، وكان سببا رئيسيا في ما يعانیه المسلمون - في كثير من بلاد المسلمين - من بطالة وفقر ومرض... إلخ. وغياب الديمقراطية والحرية والحكم الاستبدادي أشاع الخوف في قلوب الناس، فالشعوب الخائفة لا تستطيع أن تعمّر بلادها ولا أن تبني حضارة، وقديما قال الفيلسوف الإغريقي أرسطو لتلميذه الإسكندر الأكبر عندما استشاره في كيفية حكم الإمبراطورية التي شاهدها قال الأستاذ لتلميذه: «يا بني بالقوة تستطيع أن تستولى على رقاب الناس، ولكن هيهات أن تصل إلى قلوبهم إلا بالود والحب، لأن الشعوب إذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل» نعم إن الشعوب الحرة التي تستطيع أن تقول رأيها بصراحة ودون خوف، وأن تنتقد الحاكم عندما يخطئ، هي الشعوب التي تستطيع أن تعمّر بلادها وأن تبني حضارة يقول الإمام الغزالي: «ومن مميزات الشورى أنها ترد الحاكم إلى حجه الطبيعي كلما حاول الانتفاخ والتطاول، والجماعات البشرية السوية فيها رجال كثيرون يوصفون بأنهم قمم. أما البيئة المنكوبة بالاستبداد، فدجاج كثير وديك واحد، إن ساغ التعبير⁽⁵⁰⁾» ويقول

ومع ذلك فإن أرقى ما وصل إليه الغرب في حضارته الإنسانية، أوفى فن الحكم، لم يزد عما حققته الخلافة الراشدة من أربعة عشر قرناً. قرأت حواراً بين الرئيس كيندي - الرئيس الأسبق للولايات المتحدة - وبين ممثلي بعض الصحف الأمريكية، قال فيه صحافي يتحرى الحقائق لأكبر زعيم في العالم: مستر كيندي، هل رحلة زوجتك إلى أوروبا على نفقتك الخاصة أم من مال الدولة؟! أو أدلى كيندي بما عتده دون تأفف - يعنى لم يغضب على الصحفي ولم يتهمه بالتطاول (51) - يقول الإمام الغزالي معلقاً على تلك القصة وذكرت على الفور حواراً مماثلاً دار بين عمر بن الخطاب وسلمان الفارسي: قال سلمان لعمر بن الخطاب، نرى ثوبك طويلاً سابغاً، وكلنا كميّش الإزار ما حصل أحدهما إلا على ملابس قصير، فمن أين لك هذا؟ وأحس عمر كأنه متهم باستغلال الحكم، فقال: قم يا عبد الله بن عمر فحدث الناس، وقام عبد الله يقول إن نصيب أبي من الثياب المفرقة لم يكن يغنيه لأنه رجل طوال، فمنحته نصيبي ليكمل حلته... واتضح الموقف، وقال سلمان: الآن قل نسمع» (52).

في هذا القدر كفاية لأننا لو حاولنا ضرب الأمثلة وتقديم نماذج من مفردات الحكم الإسلامي الرشيد لضاق بنا المقام، وكذلك لو حاولنا ضرب الأمثلة وتقديم نماذج من مساوئ الحكم الاستبدادي لضاق بنا المقام أيضاً ولكني قبل أن أختم هذا البحث المتواضع لابد أن أقول كلمة أراها ضرورية: وهي أن الغرب الديمقراطي الحر الذي لا ننكر عليه ديمقراطيته ولا حريته، هذا الغرب أناني إلى أبعد الحدود فهو يعرف قيمة الحرية والديمقراطية، وأثرها في رقي الأمم والشعوب ومع ذلك يظن على العالم الإسلامي بها، أعنى أنه يقف حجر عثرة في سبيلها ولا يريد أبداً أن تسود الديمقراطية والحرية في العالم الإسلامي لأنها إذا سادت أفرزت حكومات صالحة، وإذا صلح الحكم صلحت كل أوجه الحياة، ومعنى ذلك نهضة إسلامية شاملة وعالم إسلامي قوي سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، يستطيع أن يدافع عن حقوقه وأن يتمتع بثرواته، وأن تكون له كلمة في شئون الدنيا، وهذا ما لا يريده الغرب، فما يريده الغرب عالم

إسلامي ضعيف ممزق متناحر. تسوده الفتن والقتال والارهاب، لتسهل السيطرة عليه، ونهب ثرواته والتحكم في مقدراته.

نعم إن الغرب يصدر إلى العالم الإسلامي كل شيء إلا الحرية والديمقراطية، فهي السلعة الوحيدة التي يحتكرها لنفسه، ولو أردنا أن نذكر أمثلة على تدخلات الغرب لمنع الديمقراطية والحرية من أن تسود في العالم الإسلامي لضاق بنا المقام، وكفى أن نلفت الأنظار إلى ما يحدث في تركيا حالياً.

الهوامش

1- انظر ماذا قال المؤرخ العربي المسلم ابن الأثير عن نكبة الغزو المغولي لبلاد المسلمين، وما أحدثوه من خراب ودمار ووحشية جعلته يتردد في كتابة وتسطير هذه الكارثة وحتى ظن أن العالم الإسلامي سيتلاشى، وابن الأثير يقول هذا مع أنه لم يشهد ما فعله المغول ببغداد عاصمة الخلافة العباسية، بل عاصمة الإسلام والمسلمين في ذلك الوقت سنة 656هـ - 1258م فماذا كان يمكن أن يقول لو عرف أنهم قتلوا من سكانها أكثر من مليون ودمروا حضارتها وصنعوا من الكتب جسراً عبروا عليه نهر دجلة بخيولهم. توفي ابن الأثير سنة 630هـ. انظر الكامل في التاريخ ج 12 ص 358.

2- محمد قطب - واقعنا المعاصر ص 7 مكتبة رحاب - الجزائر سنة 1989م.

3- سورة الروم - الآية: 47.

4- د/جمال حمدان - العالم الإسلامي المعاصر ص 146 طبع عالم الكتب - القاهرة 1410هـ - 1990م.

5- د/جمال حمدان - المرجع السابق ص 145 ود/مصطفى محمد رمضان في بحث له بعنوان "جرائم العنف والتطرف التي تعاشي منها المجتمعات الإسلامية" رؤية تاريخية. نشر في أعمال المؤتمر الدولي - العلوم الاجتماعية ودورها في مكافحة جرائم العنف والارهاب في المجتمعات الإسلامية - القاهرة سنة 1998م.

- 6- انظر د/ مصطفى رمضان مرجع سابق، ص 76 نقلا عن محاضرة للدكتور محمود حب الله القيت في قاعة الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر عام 1968م.
- 7- راجع كتاب الرئيس نيكسون - انتهزوا الفرصة - ص 55 وما بعدها.
- 8- د/ جمال حمدان، المرجع السابق، ص 146.
- 9- راجع كتاب الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون - انتهزوا الفرصة - ص 55 ترجمة حاتم غانم. الطبعة الأولى سنة 1992م القاهرة.
- 10- قام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بدور بارز في اسقاط حلف بغداد.
- 11- د/ جمال حمدان المرجع السابق، ص 148 - 149.
- 12- راجع كتاب الرئيس نيكسون، ص 55.
- 13- المرجع السابق ص 149 وأتظر كتاب نيكسون، ص 55.
- 14- هذه الجمهوريات التي استقلت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي هي: كازاخستان وأوزبكستان وطاجيكستان وتركمانستان وقيرغيزستان.
- 15- راجع كلام الرئيس نيكسون عن امبراطورية الشر هذه في كتابه السابق، ص 79 وما بعدها.
- 16- راجع كتاب العقاد هذا من ص 9 وما بعدها - الطبعة الثانية - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، سنة 1971م.
- 17- ريتشارد نيكسون - انتهزوا الفرصة - ص 13.
- 18- د/ مصطفى رمضان، مرجع سابق، ص 78-79.
- 19- ريتشارد نيكسون - انتهزوا الفرصة، ص 13.
- 20- صورة الجن - الآية: 10.
- 21- روجيه جارودي - ملف اسرائيل: دراسة للصهيونية العالمية - ترجمة مصطفى كامل فودة، اصدار دار الشرق بالقاهرة - الطبعة الثانية 1404هـ - 1984م مقتطفات من ص 161 - 164 نقلا عن محمد قطب - واقعنا المعاصر - ص 532-534.
- 22- لا يظن أحد أن إيران خرجت مهزومة من الحرب وأن العراق خرج منتصرا بل العكس هو الصحيح، وإذا كانت إيران قد وافقت على وقف إطلاق النار، فذلك لأنها أدركت عقم الحرب وأن الغرب يريد القضاء عليهما معا، ولو استطاع العراق احتلال

- كل إيران فإنها كانت قادرة على إخراجها منها في نهاية الأمر.
23. ان المساعدات الضخمة التي قدمتها دول الخليج البترولية للعراق وإيران معا أثرت على خطط التنمية في تلك الدول ذاتها، وعلى قدرتها على مساعدة دول عربية وإسلامية أخرى كانت في ميسس الحاجة لتلك المساعدة، أي أن خسائر الحرب كانت وبالاً ودماراً للأمة الإسلامية بأسرها.
24. ريتشارد نيكسون - انتهزوا الفرصة - ص 48-49 وهو يشير بذلك إلى تكاليف حرب الخليج الثانية، أو ما سمي بعاصفة الصحراء، لإخراج صدام حسين من الكويت.
25. انظر كتاب الانفجار سنة 1967م - محمد حسنين هيكل - ص 303 وما بعدها. مركز الاهرام للطبع والنشر 1411هـ - 1991م.
26. لم يكن اغلاق قناة السويس وخسارة عوائدها هو كل مافي الأمر، بل أدت هزيمة مصر سنة 1967 إلى تحطيم وتدمير مدن القناة الثلاث - السويس والاسماعيلية وبورسعيد، وتهجير نحو مليون مواطن من سكانها إلى مدن وقرى أخرى واضاف ذلك أعباء باهظة على اقتصاد مصر، ناهيك عن المشكلات والناس الاجتماعية التي ترتبت على ذلك التهجير.
27. اختفت هذه السفيرة تماما ولم يعد أحد يحس لها وجودا وكأن الأرض قد انشقت وبلعتها، لأنه كان مطلوبا ألا تتكلم أبدا.
28. ريتشارد نيكسون - انتهزوا الفرصة - ص 39.
29. المرجع السابق، ص 54.
30. انتهزوا الفرصة - مرجع سابق، ص 50.
31. ص 83.
32. د/مصطفى رمضان مرجع سابق، ص 83.
33. طبع دار العارف. مصر سنة 1997م. والكتاب مليء بالأدلة على عداة وكراهية الغرب للإسلام.
34. بدءا من العدد 1116 بتاريخ 1998/3/15م والأعداد التالية.
35. بحث للدكتور عبد الحليم عويس بعنوان "شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في كتاب تاريخ الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدون" - الرياض

- 1983م، ج 1، ص 83.
- 3.6- الأستاذ أحمد الملا. جريدة الأهرام العدد 40771 الخميس 1998/7/23م.
- 3.7- صحيفة الأهرام. العدد 40773 السبت 1998/7/25م.
- 3.8- راجع كتاب انتهزوا الفرصة، ص 37 وما بعدها.
- 3.9- طنجة مدينة مغربية تقع على الساحل في الشمال، وجاكارتا هي عاصمة اندونيسيا وغانة تقع في غرب إفريقيا وفرغانة في آسيا الوسطى، وهذا تعبير يقال للدلالة على سعة العالم الإسلامي من حيث المساحة، وعلى عظم ثرواته، وخارج هذا العالم توجد أعداد هائلة من المسلمين تعيش كأقليات في دول غير إسلامية.
- 4.0- د/ جمال حمدان - المرجع السابق، ص 125-126.
- 4.1- سورة المؤمنون - الآية: 52.
- 4.2- سورة آل عمران - الآية: 103.
- 4.3- سورة الصف - الآية: 4.
- 4.4- سورة الحجرات - الآية: 10.
- 4.5- الإشارة إلى لبنان هنا المقصود بها أن كثير من الدول الإسلامية مرشحة في المستقبل للصروب الأهلية والانقسامات العرقية، وطبعاً أيدي الغرب تلعب الدور الأكبر في هذا المجال.
- 4.6- انتهزوا الفرصة - مرجع سابق، ص 41.
- 4.7- د/ مصطفى رمضان - المرجع السابق، ص 75.
- 4.8- الإمام محمد الغزالي "نظرة على واقعنا الإسلامي المعاصر" - الطبعة الثانية، دار - ثابت - القاهرة 1983، ص 24.
- 4.9- المرجع السابق، ص 25.
- 5.0- المرجع السابق، ص 21.
- 5.1- تحدثت الدنيا كلها في هذه الأيام عن الصفعة التي تلقاها الصحفي اللبناني "حسن صبرا" من الرئيس اللبناني "إلياس الهراوي"، مع أن لبنان من أكثر البلاد العربية حرية وديمقراطية.
- 5.2- المرجع السابق، ص 23.

المصادر والمراجع

- 1- ابن الأثير - الكامل في التاريخ، ج 12 طبع دار صادر بيروت 1386هـ - 1966م.
- 2- د/جمال حمدان - العالم الإسلامي المعاصر - الناشر عالم الكتب 1410هـ - 1990م القاهرة.
- 3- د/جمال عبد الهادي - الأستاذ علي لبن - المجتمع الإسلامي المعاصر بأفريقيا - دار الوفاء للطباعة - المنصورة - مصر 1415هـ - 1995م.
- 4- ريتشارد نيكسون - انتهزوا الفرصة - ترجمة حاتم غانم - نشر شركة قايتباي للطباعة والنشر والتوزيع - الاسكندرية 1992م.
- 5- رجب البنا - الإسلام والغرب - طبع دار المعارف - مصر 1997.
- 6- عباس محمود العقاد - لا شيوعية ولا استعمار - دار الكتاب العربية - بيروت - الطبعة الثانية 1971.
- 7- محمد حسنين هيكل - الانفجار سنة 1967، مركز الأهرام للترجمة والنشر 1411هـ - 1991م.
- 8- الشيخ الامام محمد الغزالي - نظرة على واقعنا الإسلامي المعاصر - نشر دار ثابت القاهرة - الطبعة الثانية 1404هـ - 1983م.
- 9- محمد قطب - واقعنا المعاصر - مكتبة رحاب - الجزائر 1989م.
- 10- د/مصطفى محمد رمضان - بحث بعنوان "جرائم العنف والتطرف التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية المعاصرة، رؤية تاريخية - ضمن أعمال المؤتمر الدولي الذي عقد في القاهرة من 4-6 ربيع الأول - 1419هـ - 28-30 يونيو 1998م بعنوان "العلوم الاجتماعية ودورها في مكافحة جرائم العنف والتطرف في المجتمعات الإسلامية، والبحث من ص 73 إلى ص 93 من القسم الثاني المجلد الأول.
- 11- مجلة أكتوبر القاهرة.
- 12- صحيفة الأهرام.

الحوالة وانتعاش الخصوصية العربية الإسلامية

د/ منصور بن عبد الحق
معهد علم النفس وعلوم التربية
- جامعة وهران -

مقدمة:

ان إخضاع الشعوب سياسيا واقتصاديا يؤدي حتما إلى محاولة إخضاعها ثقافيا. فالقوي الغالب إذا تمكن من بسط نفوذه يرفض من الضعيف التابع أي شكل من أشكال المقاومة أو التمايز والاختلاف عنه، ولا يرضى منه سوى تقمص نمطه في العيش كتجسيد واقعي ميداني لهيبته واعتراف قسري بسلطانه وجبروته، وكدعامة لتكريس تبعيته الاستهلاكية. غير أننا لا نستطيع أن نتحدث عن مشروع ثقافي شامل إلا في ظل سيادة قطبية مطلقة، وهو أمر لم يتحقق بعد. فالصراع السياسي والعسكري والاقتصادي على أشده بين الأطراف التي تريد أن تهيمن على مصالح العالم لتسييره بطريقتها ومن خلال قناعاتها وفي الاتجاه الذي يخدم مصالحها. في ظل هذا الصراع تقوم الكيانات والدول والأمم خاصة الضعيفة منها بمراجعة تموقعاتها وإدخال إصلاحات على أنظمتها ضمانا للبقاء. وكلفت هذه المراجعات كثيرا من هذه الأنظمة والكيانات التخلي أحيانا عن مبادئ وقناعات ظلت تدافع عنها قرابة القرن، واضطرت إلى الدخول في تكتل مع أعدائها وخصومها التقليديين. ومهما اكتسبت من قوة نتيجة هذه الإصلاحات فالأمر لا يعدو أن يكون تصويبا لوضع أو تصحيحا لموقع.. أما الصراع الحقيقي فيتعدى مستوى الذات، إذ لم يعد يكفي أن تتمكن الدولة من الوقوف بإمكاناتها الذاتية، ولكن تحتاج كذلك إلى تسخير هذه الإمكانيات